المواجهات العسكرية بين المسلمين والخزر حتى نهاية الدولة الأموية

إعداد
د/ سعيد عبدالجواد أبو زيد
مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
جامعة الأزهر

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فلقد وقفت دولة الخزر كحجر عثرة في طريق تقدم القوات الإسلامية باتجاه الشمال ومنطقة القوقاز، الذي يمثل الامتداد الطبيعي لتوسيع رقعة الإسلام، ووقفت كحاجز يفصل بين الدولة الإسلامية، وممتلكات الإمبراطورية البيزنطية، وكثيرًا ما وقع التحالف بين الخزر والإمبراطورية البيزنطية، هذا التحالف الذي كثيرًا ما أقض مضجع الدولة الإسلامية، ونتجت عنه نتائج تركت آثارها الدامية في التاريخ الإسلامي خلال القرنين السابع، والثامن الميلادي.

ودراسة العلاقة بين الخزز والدولة الإسلامية له أهميته الكبيرة؛ إذ إن هذه العلاقة يكتنفها الكثير من الغموض، لا سيَّما في مراحلها المتقدمة، كما أن المكتبة العربية ينقصها الكثير من الدراسات التي تتناول الخزر تاريخيًّا، وجغرافيًّا، ومعرفة جذور الخزر الدينية يميط اللثام عن الكثير من الحقائق المغلوطة، لا سيَّما في تاريخ اليهود الحديث.

ومما دفعني أيضًا لدراسة هذا الموضوع أن ما لدينا من دراسات تاريخية عن مملكة الخزر، وعلاقاتها بالدولة الإسلامية خلال هذه الفترة يُعَدُّ قليلًا إذا ما قورن بغيرها من الدول، والممالك المجاورة لحدود الدولة الإسلامية، التي أخذت اهتمام جُلِّ الباحثين، لا سيَّما الدولة البيزنطية، هذا العدو القديم.

ويبدو أن قلَّة الدراسات التاريخية عن هذه المملكة (دولة الخزر) قد يرجع إلى بُعدها عن مركز الخلافة الإسلامية، سواء في عهد الخلافة الراشدة، أو في عهد الأمويِّين.

والحقيقة أن الحديث عن المواجهات العسكرية بين الخزر والدولة الإسلامية حتى نهاية الدولة الأموية، ليس بالأمر الهيِّن؛ إذ إن معظم المؤرخين المسلمين لم يكن لديهم كثير اهتمام بتاريخ الخزر في هذه الفترة، وكان جُلُّ اهتمامهم منصبًّا على الأمم التي كانت معروفةً لديهم من قبل، كما أن الاهتمام بتاريخ الخزر قد أخذ في الازدياد، لا سيَّما منذ بدايات العصر العباسي الثاني، حيث بدأنا نعلم كل صغيرةٍ، وكبيرةٍ عن الخزر حتى كان القرن الرابع الهجري، القرن الذهبي الذي شهد ثورة علميةً، وأدبيةً كبيرةً.

وممَّا زاد من صعوبة الموضوع قلة المصادر والمراجع التي تناولت الموضوع، والتي كانت -في غالب أمرها- تتناول العلاقات بين الخزر والدولة البيزنطية، أو العلاقات بين الدولة الإسلامية، والدولة البيزنطية.

وكانت من أهم المصادر العربية التي تناولت الموضوع:

- **الدينوري:** أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: د/ جمال الدين الشيال، ط: القاهرة، (د.ت).
- **اليعقوبي:** (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، تاريخ اليعقوبي، ط: بيروت، ١٩٨٠م.
- **الطبري:** (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الأمم والملوك، ط: بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- **الكوفي:** أحمد بن أعثم (ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م)، الفتوح، ط: بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- **الأزدي:** يزيد بن محمد بن إياس (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م)، تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، ط: القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
- **المقدسي:** (ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط ٢ ليدن، ١٩٠٩م.
- **ابن الأثير:** عز الدين أبو الحسن (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، ط: بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

بالإضافة إلى كتب التراجم، مثل:

- **ابن سعد:** (ت ٢٣٠هـ) محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، الطبقات الكبرى، دار صادر- بيروت.
- **الذهبي:** (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- نذير حمدان، ط: بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

أما المراجع العربية والمترجمة مثل:

- **دنلوب:** تاريخ يهود الخزر، ترجمة: د/ سهيل زكار، ط ٢ دمشق، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- **فتحي عثمان:** الحدود الإسلامية البيزنطية، ط: القاهرة، (د. ت).
- **المغربي:** محمد عبد الشافي المغربي، مملكة الخزر اليهودية وعلاقتها بالدولة الإسلامية والبيزنطية في العصور الوسطى، ط: دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.

- **وسام عبد العزيز فرج، جوزيف نسيم:** العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي، ط: الإسكندرية، (د. ت).
- **يوسف عزت:** تاريخ القوقاس، ترجمة: عبد الحميد غالب، ط: القاهرة، ١٩٣٣م.

والعنوان الذي اخترته لهذا البحث: «**المواجهات العسكرية بين المسلمين والخزر حتى نهاية الدولة الأموية**».

وقد جاءت الدراسة في مقدمةٍ، وتمهيد، وثلاثة مباحث، اندرج تحت كلٍّ منها عدة نقاطٍ فرعية.

ففي المقدمة: عرضتُ لأهم نقاط البحث، وصعوبات البحث، والمنهج المتَّبع، وأهم المصادر ومراجع البحث.

وفي التمهيد: تناول البحث الحديث عن الخزر من حيث النشأة، والتكوين، والأصول العرقية، وأماكن التواجد جغرافيًّا، وتاريخيًّا، وتطور العلاقة بين المسلمين والخزر، ودور الدولة البيزنطية في تطور أو تدهور هذه العلاقة.

وفي المبحث الأول من الدراسة: تناولتُ المواجهة بين الدولة الإسلامية والخزر في عهد الخلفاء الراشدين، من خلال الحديث عن المواجهة العسكرية الأولى بين المسلمين والخزر، والتي امتدت لأكثر من عشر سنوات (٢٢-٣٣هـ/ ٦٤٢- ٦٥٣م)، خلال فترة الفتوحات الإسلامية؛ حيث إن توغل القوات الإسلامية في شمال العراق، وخراسان وضع الدولة الإسلامية في مواجهة الخزر، فوقع الصدام بينهما في أكثر من موقعةٍ عسكريةٍ.

أما الفتوحات الإسلامية، أو الأحداث والمواجهات العسكرية بين المسلمين والخزر، فقد توقفت تمامًا خلال أحداث الفتنة الكبرى، وكذا في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب؛ لانشغال الدولة بخلافاتها الداخلية؛ ممَّا أعطى الفرصة لتلك القوى المعادية للإسلام من السيطرة على هذه البلاد، والثورة على المسلمين في بلاد القوقاز، وعلى الحدود الإسلامية المجاورة لهذه الدول.

أما المبحث الثاني: فتناولت فيه المواجهات العسكرية التي وقعت بين المسلمين والخزر، وهي المواجهة العسكرية الثانية (٨٩- ١١٤هـ/ ٧٢٢- ٧٣٩م)؛ حيث إن الدولة الأموية قد اضطرتها الأحداث الداخلية منذ نهايات عصر الخلفاء الراشدين، وبدايات الدولة الأموية إلى الانكفاء على نفسها، والانشغال بأمورها الداخلية، ومع انقشاع غمامة الحرب الداخلية انطلقت الدولة الإسلامية، وبذلت جهودًا مضنية؛ للسيطرة على بلاد القوقاز مرة ثانية، فوقع الصدام في أكثر من موقع، وأخذت الحرب صفة الكرِّ والفرِّ في ظلِّ حالة المدِّ، والجزر التي كانت عليها العلاقة بين الدولتين.

أما المبحث الثالث: فقد تناولت فيه المواجهات العسكرية التي وقعت بين المسلمين والخزر في ولاية مروان بن محمد (١١٤- ١٣٢هـ) والذي تعتبر ولايته فتحًا كبيرًا وبداية لمرحلة فارقة في تاريخ هذه المنطقة؛ حيث استطاع أن يوقع الهزائم المتتالية بصفوف الخزر، واستولى على عددٍ كبيرٍ من المدن الهامة في عمق الدولة الخزرية، وأعاد لهذه المنطقة استقرارها، وهيبة الدولة الأموية في حربها مع الخزر، وظلت الدولة الأموية في حالة من التفوق العسكري في الحرب مع الخزر، وهذا يرجع إلى تلك الجهود المضنية

والصادقة التي بذلها القادة الأمويون، والذين كانوا على وعيٍ تامٍّ بما يُدار وما يُحاك للمسلمين من قبل هذه القوى المعادية والمتحالفة ضد الإسلام وأهله، حتى كانت بوادر نجاح الدعوة العباسية، حيث انشغل آخر خلفاء الدولة الأموية بالصراع العباسي الأموي، فضعفت قبضة الدولة الأموية، وتلاشت قوتها العسكرية حتى كان السقوط.

فجزى الله الدولة الأموية (قادةً وجنودًا) خير الجزاء على ما بذلوه، وما قاموا به من تضحيات؛ للحفاظ على إسلام هذه البلاد، وحمايتها من الكفر، والإلحاد، فجزى الله عنا الفاتحين وعن أهالي هذه البلاد خير الجزاء.

وفي الخاتمة: عرضت لأهم النتائج التي توصلت إليها، وأهم التوصيات التي رأيت ضرورة مواصلة العمل على تحقيقها، ثمَّ كان الحديث عن المصادر والمراجع العربية والمترجمة التي استعنتُ بها في البحث، وختمت بالفهرس.

هذا وأحمد الله -تعالىٰ- العليَّ القدير رب العرش الكريم، وأثني عليه الخير كله على ما منَّ به عليَّ وأشكره، وأشكر كل من قدَّم إليَّ نصحًا، أو عونًا من أساتذتي الأماجد الأفاضل، فجزاهم الله عنِّي خير الجزاء.

وأملي أن يسدَّ هذا البحث جزءًا من الفراغ في مكتبتنا التاريخية، فإن أصبت فما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ وعليه فليتوكل المتوكلون، وإن كانت الأخرى فحسبي أني بذلت جهدي.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل

د/ سعيد عبد الجواد أبو زيد

التمهيد

الخزر أمَّةٌ تركيةٌ، تعتبر أكثر حضارة من الأمم التركية الأخرى التي قامت في العصور الوسطى، وحدودها تقريبًا من الشمال يحيط بها بلاد الروس، والبلغار، ومن الجنوب جبال القوقاز، وحدود أران، وإقليم الرحاب[١]، ومن الغرب بلاج الكرج[٢]، واللان، ومن الشرق بحر الخزر (قزوين)[٣]، وأهم المدن بها إتل[٤]، والبلنجر[٥]، ويشتهر الخزريون منذ قديم الأزل بشدَّة البأس، والتمرس في فنون القتال، وكثيرًا ما شنوا الهجمات المدمرة على مناطق القوقاز الجنوبية، لا سيَّما بلاد الكرج (جورجيا)، وأران، ممَّا أجبر كسرى أنوشروان أن يقوم ببناء مدينة باب الأبواب، وتحصينها لتكون سدًّا يمنع هجماتهم عن مناطق القوقاز الجنوبية[٦]، وكان نظام الحكم في بلاد الخزر وراثيًّا، والملك يحمل لقب خاقان[٧].

وهذه الأمة خليط من العبادات الوثنية، وعبادة الشمس، وعبادة النار، هذا إضافة إلى النصرانية، واليهودية فيما بعد، والخزر أمَّة تركيةٌ، من الترك الذين ظهروا منذ القرن السادس الميلادي، وكوَّنوا لأنفسهم إمبراطوريةً واسعةً امتدت من منغوليا، وحدود الصين الشمالية، حتى البحر الأسود، وانقسم الترك إلى أممٍ وأقوامٍ كانت منهم الخزر[٨].

وبالرغم من أن الخزر كانوا أمَّةً بكل ما تحمله الكلمة من معاني الاستقرار، إلا أنهم كانوا دائمي الترحال، والتنقُّل، وشنّ الهجمات على البلاد، والأمم المجاورة لهم، ولكن ومع ظهور الإسلام، وخروج الدولة الإسلامية إلى حيِّز الوجود، وسيطرتها على بلاد القوقاز الجنوبية، بدأ هجوم الخزر على بلاد

القوقاز يتخذ هيئة الكرِّ والفرِّ، وشنِّ الهجمات الخاطفة للسلب، والنهب، والقتل، والتشريد، ثم العودة السريعة من حيث أتوا(٩).

وترجع أصول الخزر إلى العنصر التركي في آسيا الوسطى، ثم انتقل إلى شرق أوربا، واستقرَّ في المنطقة الممتدة بين بحر قزوين ومناطق القوقاز إلى نهر الفولجا، والدنيبر، والمنطقة الممتدة في جنوب روسيا الحالية(١٠).

وهم شعب تركي من نسل يافث بن نوح -عليه السلام-، وكما ذكر ياقوت الحموي أنهم من نسل الخزر بن يافث بن نوح -عليه السلام-(١١).

وقد ربط ابن سعد بين الخزر وسيدنا إبراهيم -عليه السلام-، فذكر قول أبناء إبراهيم -عليه السلام- له: «يَا أَبَانَا أَنْزَلْتَ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ معك، وأمرتنا ألا نَنْزِلَ أَرْضَ الْغُرْبَةِ. قَالَ: بِذَلِكَ أُمِرْتُ. قَالَ: فَعَلَّمَهُمُ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ فَكَانُوا يَسْتَسْقُونَ بِهِ، وَيَسْتَنْصِرُونَ. فَمِنْهُمْ مَنْ نَزَلَ خُرَاسَانَ، فَجَاءَتْهُمُ الْخَزَرُ فَقَالُوا: يَنْبَغِي لِلَّذِي عَلَّمَكُمْ هَذَا أَنْ يَكُونَ خَيْرَ أَهْلِ الأَرْضِ، أَوْ مَلِكَ الأَرْضِ. قَالَ: فَسَمُّوا مُلُوكَهُمْ خَاقَانَ»(١٢)، ونفس هذه الرواية ذكرها الطبري في تاريخه(١٣).

وأيًّا كان أصل الخزر فإنهم كونوا دولةً مترامية الأطراف، استطاعت أن تحوي بين طياتها أممًا مختلفةً دانت لها، وبلغ من انتشار دولة الخزر واتساعها أن أطلق على بحر قزوين البحر الخزري(١٤).

وتمركزت دولة الخزر في إقليم يقع بين الحوض الأدنى لنهر الفولجا شمال جبال القوقاز، وبحر أزوف، فمنذ القرن السادس الميلادي بدأت هذه الدولة تهدد بيزنطة، وحدث بينهما أكثر من صدام مسلح، ومع مطلع القرن السابع الميلادي أدَّت الظروف التي أحاطت بهما إلى حدوث تقارب وتفاهم بينهما،

ولقد أدرك البيزنطيون الأهمية والقيمة الكبرى لشمال القوقاز، ففي أثناء الصراع الفارسي البيزنطي تحالفت بيزنطة مع الخزر في وجه الفرس، وبعد ذلك حدث بعض التوتر في العلاقات بين كلا الفريقين لا سيما في عهد الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني[١٥]، ولكن مع تصاعد وتنامي الوجود الإسلامي على حساب الدولتين: البيزنطية، والفارسية، فقد فرضت الظروف السياسية، والعسكرية التحالف بين الإمبراطورية البيزنطية، ومملكة الخزر للوقوف في وجه المد الإسلامي، واتخذ هذا التحالف عددًا من الصور ما بين السياسية، والعسكرية، والاجتماعية[١٦]، وهذا ما سنتحدث عنه -إن شاء الله- في المباحث الآتية:

المبحث الأول

المواجهة العسكرية الأولى بين المسلمين والخزر

(٢٢- ٣٣هـ/ ٦٤٢- ٦٥٣م)

بعد سيطرة الدولة الإسلامية على منطقة شمال العراق، أصبحت القوات الإسلامية تقف على حدود دولة الخزر، وتطرق أبوابها بقوة، فبعد سيطرة قادة الفتح الإسلامي بقيادة المغيرة ابن شعبة[١٧] على أذربيجان[١٨] سنة ٢٢هـ/ ٦٤٢م، تطلَّع المسلمون إلى تأمين حدودها الشمالية وهو ما كان يعني الدخول مع الخزر في صراعاتٍ حربيةٍ؛ لذا فقد كلف المغيرة بن شعبة القائد سراقة بن عمرو[١٩]، والقائد عبد الرحمن بن ربيعة[٢٠] بهذه المهمَّة، وأمدهما بما يحتاجان إليه من العدَّة، والعتاد، وتقدمت القوات الإسلامية، ونجحت في السيطرة على عدد من المدن،

والقرى، واستولت على الممرات الجبلية في الطريق إلى مدينة باب الأبواب[٢١] إحدى المدن الرئيسية التي تسيطر على الطريق المؤدي إلى بلاد الخزر، فسارع حاكمها ويدعى شهربراز إلى الأمان، وأعرب لقادة المسلمين عن مدى بغضه للخزر، وعرض عليهم التسليم ومد يد العون لهم في حروبهم ضد الخزر، مقابل الإعفاء من الجزية[٢٢]، فقال: «إِنِّي بِإِزَاءِ عَدُوٍّ كَلِبٍ، وَأُمَمٍ مُخْتَلِفَةٍ لَيْسَتْ لَهُمْ أَحْسَابٌ، وَلَا يَنْبَغِي لِذِي الْحَسَبِ، وَالْعَقْلِ، أَنْ يُعِينَهُمْ عَلَى ذِي الْحَسَبِ، وَلَسْتُ مِنَ الْقَبْجِ، وَلَا الْأَرْمَنِ فِي شَيْءٍ، وَإِنَّكُمْ قَدْ غَلَبْتُمْ عَلَى بِلَادِي وَأُمَّتِي، فَأَنَا مِنْكُمْ وَيَدِي مَعَ أَيْدِيكُمْ، وَجِزْيَتِي إِلَيْكُمْ، وَالنَّصْرُ لَكُمْ، وَالْقِيَامُ بِمَا تُحِبُّونَ، فَلَا تَسُومُونَنَا الْجِزْيَةَ، فَتُوَهِّنُونَا بِعَدُوِّكُمْ»، فَقَبِلَ مِنْهُ سُرَاقَةُ ذَلِكَ، وَكَتَبَ ذَلِكَ إِلَى عُمَرَ، فَأَجَازَهُ عُمَرُ، وَاسْتَحْسَنَهُ[٢٣].

وعلى ما يبدو أن الخزر كانت لهم حروب ووقائع مع حاكم هذه المدينة، ومع الفرس بصفةٍ عامةٍ، فما أن علم بمجيء المسلمين حتى سارع إلى معاهدتهم، ومد يد المساعدة لهم في حروبهم مع الخزر مقابل الإعفاء من الجزية، فأعفاه المسلمون من الجزية نظير معاونته جيوش المسلمين، وكتب له سراقة بن عمرو كتاب أمان[٢٤].

ثمَّ انطلقت قوات المسلمين في تأمين هذه الحدود، فخرجت عدة فرق عسكرية إلى نواحٍ مختلفةٍ، فتقدم بكير بن عبد الله[٢٥] نحو مدينة موقان[٢٦]، وتمكَّن من فتح هذه المدينة، وفرض على أهلها الجزية، وكتب لأهلها أمان[٢٧]، وقاد حبيب بن مسلمة[٢٨] فرقة، وتوجَّه بها نحو مدينة تفليس[٢٩]، والمناطق

الجبليةفي اللان[٣٠]، وتقدَّم سلمان بن ربيعة[٣١] إلى مناطق الجبال لمواجهة ملك جبال اللان[٣٢].

ثمَّ أخذت القوات الإسلامية في التقدُّم باتجاه حدود الخزر، فتقدم عبد الرحمن بن ربيعة[٣٣] بالجيش، وتوغَّل في مناطق الخزر الجنوبية، واستولى على عددٍ كبيرٍ من المدن، والحصون، وساعده على ذلك فرار الخزر من وجه القوات الإسلامية، فاستغلَّ ذلك وتقدَّم شمالًا إلى أن استولى على عاصمة بلاد الخزر مدينة البلنجر الحصينة[٣٤]، وأصبحت الساحة خاليةً أمام القوات الإسلامية؛ للسيطرة على ما تبقى من مدن وحصون الخزر، وأخذ عبد الرحمن يعد العُدَّة لهذا الأمر، ولكن أتت الرياح بما لا تشتهي السفن؛ إذ إن وفاة أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب ﷺ قد ألغت كل الخطط، واضطرت عبد الرحمن بن ربيعة إلى العودة أدراجه إلى أذربيجان، والمرابطة فيها إلى حين ورود تعليمات أخرى[٣٥].

ويذكر المؤرخون أن حاكم مدينة الباب لما التقى بعبد الرحمن سأله عن وجهته، فأجابه بأنه يقصد بلاد الخزر، فتعجَّب هذا الحاكم من إقدام المسلمين على هذه المجازفة؛ لما يتصف به الخزر من شدَّةٍ وبأسٍ في القتال[٣٦]، وقال له: «إنا لنرضى (نحن الفرس) منهم دون هذا الباب، -وهي دلالة على مدى خوف سكان الإقليم من هؤلاء الخزر- فردَّ عليه عبد الرحمن في عزَّةٍ وأنفةٍ: تالله إن معنا أقوامًا لو يأذن لهم أميرنا لبلغنا بهم الروم في ديارهم، فقال له: ومن هم؟ قال: قوم صحبوا رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم، ودخلوا هذا الدِّين بنية، وكانوا أصحاب حياءٍ، وتكرمٍ في الجاهلية، فازداد حياؤهم، وتكرمهم، فلا

يزال دائمًا النصر، والأمر لهم، حتى يغيرهم مَنْ يغلبهم، حتى يلفتوا عن حالهم»[٣٧].

ولم يأبه عبد الرحمن للخوف الذي أبداه هذا الحاكم، وتقدَّم بقواته باتجاه الخزر، ونازلهم في عدَّة معارك، خرج منها جميعًا منتصرًا، وتوغَّل في بلادهم، واستولى على عددٍ كبيرٍ من مدنهم الرئيسية، وساقهم أمامه، حتى وصلت خيوله مدينة البيضا[٣٨].

وقد أظهر المسلمون في تلك المعارك شجاعةً شديدةً، وبلغ من شدة بأس المسلمين في هذه المعارك أن قد سرى الرعب في نفوس الخزر، حتى شاع بينهم أن المسلمين لا يموتون، ولا سبيل للأسلحة معهم، وما تجرأوا عليهم إلا ومعهم الملائكة تمنعهم من الموت، ولكن لم يستثمر المسلمون تلك الفتوحات بإقامة قواعد متقدمة في بلاد الخزر، وسرعان ما عاد عبد الرحمن إلى جنوب القوقاز، وإلى قواعده الدائمة في أردبيل[٣٩]، مكتفيًا بما حققه من انتصاراتٍ على الخزر[٤٠].

ومن الملاحظ أن هذه الحملة التي خاضها عبد الرحمن بن ربيعة على بلاد الخزر كانت سهلة، ولم يقابل فيها مقاومة تذكر على عكس المتوقع؛ إذ إن المعلوم عن الخزر هو شدة الباس والتمرس في القتال، بالإضافة إلى أعدادهم الغفيرة، وهذا ما جعل حاكم مدينة باب الأبواب يتعجَّب من محاولة المسلمين غزو بلاد الخزر، ولكن يجب أن نذكر أن محاولة غزو الخزر جاءت في فترة قمة المد الإسلامي، الذي شهدته الدولة الإسلامية في نهاية فترة خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ولقد ساعد على سهولة هذه الحملة الخوف،

والرعب الذي تملَّك خصوم الدولة الإسلامية، حتى لقد سرت بينهم أقاويل جاوزت حد الأساطير في أن المسلمين إنَّما نزلوا من السماء، ولا يموتون، ولا طريق للأسلحة معهم، ولم تتحقق لهم الانتصارات إلا بذلك[٤١].

وكانت ردة فعل الخزر قوية في بداية حكم أمير المؤمنين عثمان بن عفَّان ﷺ، إذ إنهم وأمام عجزهم لصدِّ توغُّل القوات الإسلامية، فقد دخلوا في تحالفات مع بعض القوى المجاورة مثل: الأرمن، وسكان مناطق القوقاز، والبيزنطيين، وكونوا جيشًا جرَّارًا، جعل من مدينة شميشاط[٤٢] نقطة انطلاقهم.

وعلى ما يبدو أن تحرّك الخزر جاء ردًّا على سيطرة الدولة الإسلامية على المناطق الجنوبية الغربية من الأراضي الخزرية؛ لذلك أرادوا استغلال انشغال الدولة الإسلامية بأمورها الداخلية، بالإضافة إلى عودة أهل القوقاز للتمرد، والعصيان على الدولة الإسلامية، وبدأت جموعهم تستعدُّ لمواجهة حاسمةٍ مع الدولة الإسلامية.

وبدأ حبيب بن مسلمة يستعدُّ لمقابلة هذه الجموع، ولكن قلة ما معه من الجنود، وكثرة جموع الخزر، حالت دون خروجه السريع لملاقاتهم، وأرسل يطلب الإمدادات من الكوفة، فأرسل إليه أميرها الوليد بن عقبة ستة آلاف من المقاتلين؛ معونة لأهل الشام على عدوهم، وبدأ في التحرك، وسلك الطريق نحو مدينة شميشاط، وفي الطريق إليها استولى على عددٍ كبيرٍ من المدن، حيث دخل أولًا مدينة خلاط[٤٣]، ثم أردفها بمدينة تفليس، واستولى في الطريق بينهما على العديد من الحصون، والقلاع، وترك فيها حاميات إسلامية، حتى لا تنقطع الصلة بينه وبين مستودع الإمدادات في منطقة آسيا الصغرى، ثمَّ كان

اللقاء مع جموع الخزر، وحلفائهم البيزنطيين، وتمكَّن من هزيمة هذه الجموع، وفضِّ تحالفها(٤٤).

بعد هذه الانتصارات المتلاحقة التي حققها المسلمون مع خصومهم على الجبهة العسكرية مع الخزر، ومن تحالف معهم من البيزنطيين، والأرمن، بدأ المسلمون يفكرون جديًّا في إحياء فكرة غزو بلاد الخزر، والتي كانت قد تعطَّلت لوفاة أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب، ففي سنة ٣٢هـ/ ٦٥٢م تحرَّك عبد الرحمن بن ربيعة بقواته، وتوغَّل في بلاد الخزر، فتقدَّم بالجيش عبر مدينة باب الأبواب، وعلى الجبهة الأخرى حيث استعدَّ الخزر لهذه الموقعة اتمَّ استعداد، وكان قد شاع بين الخزر أن المسلمين لا يقتلون، ولا تعمل معهم الأسلحة، وتأسف الخزر على ما كان منهم من قوةٍ، وبأسٍ، وما آلوا إليه من ضعفٍ، ووهنٍ في قتال المسلمين.

قال ابن الأثير: «... وَسَبَبُهُ أَنَّ الْغَزَوَاتِ لَمَّا تَتَابَعَتْ عَلَيْهِمْ، تَذَامَرُوا وَقَالُوا: كُنَّا أُمَّةً لَا يُقْرَنُ بِنَا أَحَدٌ، حَتَّى جَاءَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ الْقَلِيلَةُ، فَصِرْنَا لَا نَقُومُ لَهَا. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَمُوتُونَ، وَمَا أُصِيبَ مِنْهُمْ أَحَدٌ فِي غَزْوِهِمْ، وَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ غَزَوْهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ، فَلَمْ يُقْتَلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ؛ فَلِهَذَا ظَنُّوا أَنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ»(٤٥).

ثمَّ إنهم فكروا في كيفية مواجهة القوات الإسلامية التي لا تهزم، «فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَفَلَا تُجَرِّبُونَ؟ فَكَمَنُوا لَهُمْ فِي الْغِيَاضِ، فَمَرَّ بِالْكَمِينِ نَفَرٌ مِنَ الْجُنْدِ فَرَمَوْهُمْ مِنْهَا فَقَتَلُوهُمْ، فَتَوَاعَدَ رُؤُوسُهُمْ إِلَى حَرْبِهِمْ ثُمَّ اتَّعَدُوا يَوْمًا...»(٤٦).

وما أن وصل عبد الرحمن مدينة البلنجر، وجد نفسه أمام جموع هائلةٍ لا قِبَلَ له بها، واستعدادًا حربيًّا يفوقه عددًا، وعدَّةً، ومع ذلك التحم معهم في معركةٍ فاصلةٍ تمخَّضت عن هزيمة جيش الخلافة، ومقتل عددٍ كبيرٍ من المسلمين(٤٧)، وفرار قلةٍ قليلةٍ منهم إلى مدينة الباب، وجيلان(٤٨)، وجرجان(٤٩)، بل ومقتل قائد الجيش عبد الرحمن بن ربيعة(٥٠).

وكانت هزيمة المسلمين هذه ضربةً قاصمةً لطموحات المسلمين، وآمالهم في غزو بلاد الخزر، وتدعيم أركان الدولة الإسلامية في هذه المناطق، وبالتالي ارتدادهم عنها، والانكفاء على أنفسهم، وتوقف المد الإسلامي، ولو مرحليًّا باتجاه الخزر، والمناطق الشمالية من الدولة الإسلامية.

والحقيقة أنَّ ما حاق بالقوات الإسلامية في هذه المعركة من هزيمةٍ لم يكن ناتجًا عن تقصيرٍ، أو إهمالٍ، بقدر ما هو لوجود أسباب كانت خارجةً عن إرادة هذا الجيش متمثلةً في أنَّ ما سبقهم من حملاتٍ على بلاد الخزر لم يكن بأيِ حالٍ من الأحوال سوى حملاتٍ استطلاعيةٍ لمعرفة طبيعة وجغرافيا هذه المنطقة، وليس فتحًا منظمًا، الهدف منه إخضاع المنطقة خضوعًا كاملًا، ثمَّ سرعان ما تعود إلى مراكزها الرئيسية، وقواعدها الدائمة في أردبيل في آسيا الصغرى، وكان لقلة عدد جنود المسلمين في مواجهة خصومهم، لا سيَّما في مواجهة جحافل الخزر، إذ إنَّ أعداد المسلمين دائمًا ما كانت قليلةً في مواجهة الخزر معتمدين في ذلك على شجاعتهم، وحماستهم الدينية، كما أن تنائي أطراف البلاد المفتوحة، وبُعدها عن مستودع القوة، والإمداد في الشام، والعراق، أضف إلى ذلك ظهور نوعٍ جديدٍ من المقاومة تمثَّل في تحالف

الخزر مع الأرمن، والقوقاز، وفي بعض الأحيان مع البيزنطيين، ذلك بخلاف طبيعة المنطقة الجبلية، والطقس القارص الذي لم يعتد عليه المسلمون، وبالتالي فقد حدثت حالة من الاختزال، والانكماش في المدّ الإسلامي نحو بلاد الخزر، وبالتالي وقف الخزر كحجر عثرة في طريق المدّ الإسلامي في الشمال.

ولمَّا علم أمير المؤمنين عثمان بن عفان بما حدث لقائده عبد الرحمن بن ربيعة كتب إلى حبيب بن مسلمة الفهري يأمره بالمسير إلى بلاد الخزر؛ للانتقام منهم لما حدث، فاجتمع إليه ستة آلاف جندي، وسار بهم، وكان الخزر قد استولوا على مدينة خلاط، فاتجه حبيب بن مسلمة إليها، واستولى عليها بعد حصار دام أيامًا، وقتل من كان بها من الخزريِّين، ثم توجه نحو مدينة جرزان[٥١]، فاستعاد السيطرة عليها، وجدد الصلح مع الأرض[٥٢].

وظلَّت العلاقات بين الدولة الإسلامية والخزر راكدةً نحو خمسة عشر عامًا، فلم تذكر لنا المصادر أيَّ نوعٍ من العلاقات لا السياسية، ولا المواجهات العسكرية خلال تلك الفترة؛ وذلك لانشغال الدولة الإسلامية بأحداثها الداخلية، والتي وقعت بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ونشوب الحرب الداخلية بين أمير المؤمنين علي، ومعاوية بن أبي سفيان، وبالتالي توقفت الفتوحات الإسلامية في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[٥٣].

وممَّا لا شكَّ فيه أن هذه الأحداث قد أثرت بالسلب على مناطق القوقاز، ومواجهة خطر الخزر؛ مما جعل الدولة البيزنطية والخزريين يستغلون هذه الظروف، وتمدد المنطقة الممتدة من بلاد الكرج حتى مدينة باب الأبواب خارج نطاق سيطرة المسلمين[٥٤].

وظلت الأوضاع داخل الدولة غير مستقرة حتى سنة ٤١هـ لما تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، والذي انصرفت جهوده لمواجهة خطر البيزنطيين والخزريين، حيث تذكر المصادرأنه عام ٤٧هـ/ ٦٦٧م تقدمت جيوش جرارة من الخزر باتجاه قواعد القوات الإسلامية في منطقة القوقاز، واستولت على مدنٍ، وقلاعٍ، فخرج إليهم عبد الله بن سوار العبدي على رأس الحامية العسكرية، والتقى بهم؛ فتغلَّب عليه الخزر، وقتلوا عددًا كبيرًا من أفراد الحامية العسكرية، وخرَّ عبد الله بن سوار صريعًا على أرض المعركة، وعاث الخزر فسادًا في المنطقة(٥٥).

ولم تذكر المصادر ما انتهت إليه هذه الحملة الخزرية، ولكن ومن المرجَّح أن يكون الخزر قد عادوا أدراجهم بعدما استولوا على الغنائم، والأسلاب الكثيرة، ويؤيد ذلك أن المصادر لم تشر إلى تعرضهم لسكان هذه المنطقة، أو أي مدينة أخرى، أو تصدي جيوش الخلافة لهم مرةً ثانيةً، كما أنَّ الخزر يتبعون سياسة الكرِّ، والفرِّ، والهجمات السريعة الخاطفة، ثم العودة السريعة بما يقدرون على حمله من غنائم، وأسلاب.

وكانت هذه الهجمة بمثابة الحجر الذي حرَّك الماء الساكن في المواجهة بين الدولة الإسلامية والخزر، فالخزر قد أخذتهم الجرأة في التعرض لحدود الدولة الإسلامية، مستغلين في ذلك فترة الاضطرابات التي شهدتها الدولة الإسلامية، بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان.

المبحث الثاني

المواجهة العسكرية الثانية بين المسلمين والخزر

(٨٩- ١١٤هـ/ ٧٢٢- ٧٣٢م)

تعرضت الدولة الإسلامية لهزّةٍ عنيفةٍ أخرى باندلاع الصراع على السلطة بين يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (٦٠- ٦٤هـ/ ٦٨٠- ٦٨٣م)، وبين الحسين بن علي بن أبي طالب المطالب بالخلافة، واتخذ من الكوفة عاصمةً له، وامتدت هذه الاضطرابات بين مروان بن الحكم (٦٤- ٦٥هـ/ ٦٨٣- ٦٨٥م)، ومن بعده ابنه عبد الملك بن مروان (٦٥- ٨٦هـ/ ٦٨٥- ٧٠٥م)، وبين المنافس لهما عبد الله بن الزبير، واستمرت هذه الاضطرابات ما يزيد على عشر سنين خرجت منها الدولة مقطعة الأوصال(٥٦).

وممَّا لا شكَّ فيه أن هذه الأحداث أحدثت فراغًا سياسيًّا، وعسكريًّا في بلاد القوقاز؛ مما جعلها فريسةً سهلةً لمن ينقض عليها، وطمعًا ونهبًا للقوى الخارجية.

وإزاء هذه الثورات والفتن التي كانت تعج بها هذه المنطقة، فقد قام عبد الملك بن مروان بعد أن استطاع أن يقضي على الأخطار التي كانت تحدق بدولته، فعين أخاه محمد بن مروان واليًا على بلاد القوقاز، وكلفه بالقضاء على خطر الخزر، وأرسل معه ابنه مسلمة بن عبد الملك.

فنهج محمد بن مروان سياسةً مغايرةً لما كان من سبقه، حيث اتبع سياسة الشدة والصرامة مع أهالي هذه البلاد، فأرسل مسلمة بن عبد الملك في جيش وأمر بالمسير لمحاربة الخزر، فوصل إلى مدينة الباب، حيث كان الخزر قد

تحصنوا بها فحاصرها، ونظر لحصانتها، وارتفاع أسوارها، لم يستطع دخولها إلا بعد أن دله على طريقة دخول سورها أحد سكانها، ولما دخلها المسلمون دار قتالٌ عنيفٌ مع الخزر، وانتصر المسلمون، وبعث مسلمة بالغنائم إلى محمد بن مروان حاكم الإقليم(٥٧).

وفي سنة ٨٦هـ تحالفت الخزر مع الأرمن ضد المسلمين، ولكن استطاع المسلمون بقيادة مسلمة بن عبد الملك الدخول معهم في معركة حامية الوطيس أوقع المسلمون الهزيمة في نهايتها الهزيمة النكراء بجموع الخزر(٥٨).

وبالرغم من هذه الضربات المتلاحقة التي وجهها محمد بن مروان ومسلمة بن عبد الملك لجموع الخزر سكان الإقليم، إلا أنهم كانوا يعودون بين الحين والآخر للتمرد والهجوم على المسلمين كلما أتيحت لهم الفرصة.

ولم يكن الحال أفضل في عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦- ٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٥م)، حيث انصرف الاهتمام إلى تأمين العمليات العسكرية؛ للاستيلاء على المعاقل الهامة على الطريق الرئيسي المؤدي إلى القسطنطينية، واستهدفت الحملات التي أرسلها الوليد كل عام ابتداءً من (٨٦هـ/ ٧٠٥م) حتى العام (٩٦هـ/ ٧١٥م) منطقة الثغور(٥٩)، وآسيا الصغرى(٦٠).

وبالرغم من نجاح هذه الحملات في الوصول إلى البسفور(٦١)، والاستيلاء على بعض المعاقل الهامة بالقرب منه، ولكن لم يكن هذا إلا لغرض الاستطلاع العسكري، وتأمين الوجود الإسلامي في آسيا الوسطى، وأرمينية(٦٢).

وبالرغم من نجاح هذه الحملات إلا أنها شغلت الدولة الأموية عن تأمين الجبهة مع الخزر، جاء ذلك في الوقت الذي كانت تتمُّ فيه هذه الأحداث على

مرأى ومسمع من الخزر أنفسهم الذين استغلوا هذا الانشغال وحالة الفراغ العسكري في المنطقة، وبدأوا يطرقون أبواب شمال الدولة الإسلامية من ناحية منطقة القوقاز بقوة، ففي عام ٨٩هـ/ ٧٠٧م تقدَّم الخزر وهاجموا عددًا من المدن، وعاثوا فسادًا في الأرض، وحاصروا مدينة باب الأبواب، وضيقوا الخناق عليها، ولم تستطع حماية أذربيجان التي تركها مسلمة بن عبد الملك(٦٣) -والي أذربيجان في عهد الوليد- ضد هذه الجموع، فاقتضت هذه الأحداث عودة مسلمة من جبهة بيزنطة، ولكن لم يجد للخزر أثرًا؛ إذ إنهم سرعان ما عادوا إلى بلادهم محملين بما قدروا على حمله من الغنائم، والأسرى(٦٤).

ويظهر لنا مدى انشغال القيادة السياسية في الدولة الأموية بالحرب مع بيزنطة على ما سواه، إذ سرعان ما ترك مسلمة أذربيجان متوجهًا إلى مناطق الثغور لقيادة الحملة على الحدود البيزنطية.

وما كاد مسلمة يصل إلى منطقة الحدود الإسلامية البزنطية، حتى بدأ الخزر يستغلون حالة الفراغ التي خلَّفها مسلمة، حيث جمعوا جموعهم الجرارة، وقصدوا المناطق الحدودية مع الدولة الإسلامية، واستولوا على مدينة باب الأبواب، وعاثوا فيها فسادًا، وقتلوا عددًا كبيرًا من سكانها، ولم تستطع الحاميات العسكرية من فعل شيء؛ إذ إنَّ مسلمة كان قد استصحب في رحلة العودة إلى الثغور خيرة الفرسان، والمقاتلين، ووجد الخزر الفرصة السانحة؛ للاستيلاء على ما أمكنهم الاستيلاء عليه، وبالرغم من تعجل مسلمة في نجدة سكان هذه المنطقة إلا أن البون كان شاسعًا، والمسافة كانت بعيدةً، فلما وصل المنطقة الحدودية، وجد الخزر قد عادوا من حيث أتوا، فتوغَّل في أراضيهم،

ومناطقهم الحدودية، وأقام بها مواقع عسكرية، وأسكنها الحاميات والجند؛ لتكون مواقع عسكرية متقدمة، وللقيام بمهام الاستطلاع العسكري لأنشطة الخزر الحربية، وإجهاض محاولاتهم مبكرًا، ثمَّ شرع في إعادة بناء المدن التي دمرها الخزر، وأقام بها التحصينات، والاستحكامات الحربية، وأسكنها عددًا كبيرًا من المسلمين(٦٥).

وكان النجاح الذي حققته الحملات في مناطق الثغور في عهد الوليد باعثًا على التفكير الجدي، والمباشر في محاولة الوصول إلى القسطنطينية بيت القصيد، وهو المشروع الذي أعيد إحياؤه في عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦- ٩٩هـ/ ٧١٥- ٧١٧م)، ومن العوامل التي ساعدت على التفكير في هذا المشروع أن سليمان أراد أن يستغلَّ فترة الاضطرابات، والفوضى، التي كانت تعيشها بيزنطة في الداخل، والخارج، وتعيش فترة من أحلك فترات تاريخها، فجعل سليمان من هذا المشروع موضوع الساعة، وغلب على ما سواه(٦٦).

وقد استنفد هذا المشروع كل طاقات واهتمامات الدولة الأموية، فلم يجد الخزر صعوبة في مهاجمة حدود الدولة الإسلامية، وأن يعيثوا فيها فسادًا سنة ٩٩هـ/ ٧١٧م، وأهلكوا الحرث، والنسل، ثمَّ كانت عودتهم إلى بلادهم بعد أن حملوا في طريق عودتهم الغنائم، والأسلاب(٦٧).

في بداية عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩- ١٠١هـ/ ٧١٧- ٧٢٠م) حدث أن هاجم الخزر الدولة الإسلامية، وقتلوا عددًا من المسلمين، فانطلق إليهم عبد العزيز بن حاتم الباهلي نائب مسلمة، والذي كان في حصار القسطنطينية، حيث أوقع بهم الهزيمة النكراء، وعاد منهم بعددٍ كبيرٍ من الأسرى(٦٨)، ثمَّ

شهدت الجبهة مع الخزر فترة من السكون الحربي، والسياسي، حيث كان لعمر فلسفته الخاصة، وكانت له أغراضه الطيبة، وفي الحقيقة لم تكن أعماله في هذا الصدد بعيدة عن الحكمة،وحين أعقبه يزيد بن عبد الملك (١٠١- ١٠٥هـ/ ٧٢٠- ٧٢٤م) غيَّر السياسة الخارجية بعض الشيء، وبعث بحرارة الجهاد من جديدٍ، ولكن دون نتائج إيجابية تتناسب مع حجم الجهاد، والجهود المبذولة لتحقيقه، فقد اصطدم يزيد بواقعٍ حربيٍّ، وتكتيكاتٍ عسكريةٍ جديدةٍ، فقد دفع التهديد الإسلامي منذ القرن الثامن الميلادي/ الثاني الهجري بكل من الخزر، وبيزنطة إلى التحالف في وجه الدولة الأموية، وظلَّ هذا التحالف ركنًا أساسيًّا في علاقتهما طوال القرنَيْن التاليَيْن؛ إذ ظلَّ الخزر الحليف الدائم لبيزنطة في الشمال الشرقي، وتلقَّت بيزنطة معونة طيبة من خلال صداقتها التقليدية مع الخزر الذين أحسُّوا بأنفسهم متحدين مع البيزنطيين في عداء مشتركٍ للدولة الإسلامية، حيث استغلت بيزنطة العداء المستحكم بين الدولة الأموية والخزر أحسن استغلال، وسخرت الحرب والسياسة لتحقيق أهدافها، فتمَّ تقوية التحالف بين الخزر وبيزنطة بالمصاهرة، حيث تزوج ابن الإمبراطور البيزنطي ليو الثالث الأيسوري، وخليفته قسطنطين الخامس من ابنة خاقان الخزر سنة ١١٥هـ/ ٧٣٣م[٦٩].

وبذلك أصبحت جبهة الخزر وشمال القوقاز ميداناً يمتصُّ طاقة الأمويين، واصبح الخزر قوة تجذب كل انطلاقة للدولة الأموية، ويتضح ذلك جليًّا من خلال العلاقة مع الخزر خلال فترة حكم كل من يزيد بن عبد الملك، وخلفه هشام بن عبد الملك.

موقعة مرج الحجارة ١٠٣هـ/ ٧٢٠م:

وقع أول صدامٍ مسلحٍ بين الدولة الأموية والخزر في عهد يزيد بن عبد الملك في نهاية العام ١٠٣هـ/ ٧٢٠م، حيث تلقى الخزر المعونة العسكرية من بيزنطة، وسكان مناطق القوقاز، وقوى ساعدهم، وشرعوا في مهاجمة حدود الدولة الأموية، فعين يزيد بن عبد الملك القائد ثبيت النهراني لقتالهم، فتقدم ثبيت بجيشه، والتقى بالخزر في موقعة مرج الحجارة شمال غرب أردبيل، وبعد قتالٍ عنيفٍ بين الجيشين، انتصر الخزر، وقتلوا عددًا كبيرًا من جنود المسلمين، وفرَّت فئة قليلة نحو دمشق(٧٠).

ولمَّا أقبل الْمُنْهَزِمُونَ إِلَى الشَّامِ قَدِمُوا عَلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَفِيهِمْ ثُبَيْتٌ، فَوَبَّخَهُمْ يَزِيدُ عَلَى الْهَزِيمَةِ فَقَالَ: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا جَبُنْتُ وَلَا نَكَبْتُ عَنْ لِقَاءِ الْعَدُوِّ، وَلَقَدْ لَصَقْتُ الْخَيْلَ بِالْخَيْلِ، وَالرَّجُلَ بِالرَّجُلِ، وَلَقَدْ طَاعَنْتُ حَتَّى انْقَصَفَ رُمْحِي، وَضَارَبْتُ حَتَّى انْقَطَعَ سَيْفِي، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ»(٧١).

وبعد هذه الهزيمة التي حاقت بجيش الخلافة الأموية عاث الخزر في المنطقة فسادًا، وقتلوا أعدادًا كبيرةً من المسلمين، وظلُّوا يرزحون تحت نيرهم إلى أن قام يزيد بتعيين الجراح بن عبد الله الحكمي(٧٢)، وأمده بجيش من خيرة عناصر الجند في الدولة الأموية، وطلب منه إزاحة الخزر عن حدود الدولة الأموية(٧٣).

فتقدَّم الجراح بجيشه، وأخذ يقوي جبهته الداخلية بإعادة السيطرة على المناطق التي احتلها الخزر، وفرض الطاعة على ملوك الجبال، ثمَّ شرع في مهاجمة

فلول الخزر الذين بدأوا ينسحبون من وجه القوات الإسلامية، وأخذ الجراح يتعقَّب فلول الخزر الهاربة، إلى أن أزاحهم عن حدود الدولة الأموية، وحتى تلك اللحظة لم يكن قد دخل معهم في معركة فاصلةٍ؛ ولذا فقد تابع تقدمه، وتوغَّل في حدود الخزر إلى أن وصل إلى أحد معاقلهم الرئيسية مدينة البلنجر، فضرب عليها الحصار، وطال أمد هذا الحصار إلى أن نجح أحد الجنود من اختراق هذه التحصينات، وتدفق المسلمون إلى داخل المدينة، واستولوا على ما كان بها بعد قتالٍ عنيفٍ مع الخزر(٧٤).

وشرع الجراح يعدُّ العدة لمزيدٍ من التوغُّل، والاستيلاء على المدن الخزرية، وبدأ التقدُّم، ولكن جاءت وفاة يزيد بن عبد الملك لتعطِّل هذا المشروع، ممَّا اضطر الجراح الحكمي إلى العودة إلى أذربيجان، وانتظار ورود تعليمات أخرى(٧٥).

وبتولِّي هشام بن عبد الملك الحكم (١٠٥- ١٢٥هـ/ ٧٢٤- ٧٤٣م) كان عليه التصدِّي لخطر الخزر ذلك العدو الرابض على حدود الدولة الأموية، ويُعَدُّ هشام -بحقٍّ من وجهة نظر المؤرخين- ثالث بني أمية في السياسة، وآخرهم بعد معاوية الذي أسس دولة بعد الفتنة الكبرى، وعبد الملك بن مروان الذي قاد الدولة الأموية في أخطر مراحلها من أجل الاستمرار، أما هشام فقد قاوم النهاية المحتومة طويلًا، وحاول كثيرًا، وجاهد في الداخل والخارج من أجل البقاء، فكان عهده أشبه بصحوة ما قبل الموت البطيء، الذي جاء على يد الخلفاء الأربعة الذين تلوه في الحكم، وبالرغم من أنه لم يكن جنديًّا إلا أنه

أظهر سياسةً، وحكمةً، وشجاعةً كبيرةً في خوض غمار الحرب، والتدبير لها، ما يثبت أنه رجل حرب، وإدارة لا يستكين(٧٦).

ظهر أثر هذه الصفات التي تحلَّى بها هشام في اهتمامه بأمر الخزر إذا استهلَّ عهده بتسليم الجراح رايات الحرب مع الخزر، وأمده بالرجال، والعتاد، والإمدادات التي طلبها، فاستطاع الجراح منازلة الخزر سنة ١٠٦هـ/ ٧٢٤م، وأوقع بهم الهزيمة، والزمهم التراجع خلف حدودهم(٧٧).

وبعد هزيمته للخزر عرج الجراح بجيشه نحو مناطق القوقاز لمنازلة ملك قلعة اللان؛ لتكرار تعاونه مع الخزر ضد الدولة الأموية، ومشاركته في الهجوم على أذربيجان، وتمكن الجراح من دخول القلعة عنوةً، وعقد اتفاقًا مع حاكم القلعة يلتزم فيه الحاكم بدفع قدرٍ معيَّنٍ من المال سنويًّا مقابل تركه على حكم القلعة، وعدم التعرض لها(٧٨).

ويعود مسلمة بن عبد الملك مرةً ثانيةً إلى أذربيجان واليًا عليها سنة ١٠٧هـ/ ٧٢٥م، بعد أن عزل هشام الجراح عنها، غير أن مسلمة لم يبارح دمشق، واستناب على أذربيجان الحارث ابن عمرو الطائي، حيث قاد جيش الخلافة في الحملة على الخزر سنة ١٠٧هـ/ ٧٢٥م، فاشتبك معهم في أكثر من موقعٍ وتوغَّل في حدودهم، ثمَّ عاد أدراجه(٧٩).

وعلى ما يبدو أن حملة الحارث بن عمرو على الخزر لم تكن ذات أثرٍ؛ إذ إنه ما كاد يعود بجيشه إلا وكان الخزر في عقبه سنة ١٠٨هـ/ ٧٢٦م، فاستولوا على المدن التي في طريقهم، فبدأوا بمدينة ورثان(٨٠)، وعاثوا فيها فسادًا،

وقتلوا عددًا كبيرًا من سكانها، وهدموا سورها بالمجانيق، فتقدم الحارث بن عمرو بجيشه، واستطاع أن يخرجهم من المدينة بعد مشقةٍ، وجهدٍ جهيد(٨١)، ودخل مع الخزر في أكثر من موقعةٍ، ودارت الحرب سجالًا بينهما دون تحقيق نتيجةٍ حاسمةٍ لأيٍّ من الفريقين، وفي أحد هذه المعارك خرَّ الحارث بن عمرو صريعًا(٨٢).

هذه الأحداث اضطرت مسلمة إلى العودة لأذربيجان، ومباشرة القيادة بنفسه سنة ١٠٩هـ/ ٧٢٧م، ودخل مع الخزر في قتالٍ محتدمٍ، وظلَّت الحرب قائمة بين الطرفَيْن حتى حلَّ الشتاء مما اضطرهما إلى الانصراف لحين انتهاء الشتاء، فتوجَّه مسلمة بالجيش لقضاء الشتاء في قلعة اللان(٨٣).

معركة الطين(٨٤) (١١٠هـ/ ٧٢٨م):

واستمرت حالة الكرّ والفرّ في الحرب بين الخزر والدولة الأموية، حيث جمع الخزر جيشًا كبيرًا من مختلف أنحاء بلادهم، وبدأوا اجتياح مناطق القوقاز، واستولوا على عددٍ من الحصون، والقلاع التي تتحكَّم في الطريق والممرات الرئيسية على الحدود مع الدولة الإسلامية، فاضطر مسلمة بن عبد الملك إلى حثِّ الناس على الانخراط في جيشه لمواجهة جيش الخزر، وبالرغم من نجاح مسلمة في صدِّ هجمة الخزر هذه، واستعادة الحصون، والقلاع التي استولوا عليها، غير أنه سرعان ما عاد إلى مدينة باب الأبواب لقضاء الشتاء بها(٨٥).

وقبل أن ينقضي الشتاء عاد الخزر مرةً ثانيةً من حيث أتوا، مستغلين تواجد مسلمة بالجيش في مدينة باب الأبواب، فاضطر مسلمة إلى الخروج لملاقاتهم، وقد دارت المعركة في جوٍّ ماطرٍ قارص البرودة، واستمرت لفترةٍ طويلةٍ

سجالًا بين الفريقين إلى أن لاحت بشائر الانتصار للمسلمين، وحاول الخزر الفرار من ساحة المعركة أمام هجمات الفرسان العرب التي كانت كالصاعقة، فاندفعوا نحو نهر الرس[٨٦]، يريدون العبور، ولكن مياهه السريعة الجريان تخطفتهم جماعاتٍ جماعاتٍ، حتى لقد قيل: إن عدد الذين غرقوا في النهر كان أضعاف الذين قتلوا بسيوف المسلمين، ولم يستغل مسلمة هذا الانتصار، وحالة التشرذم والاندحار التي وقع فيها الخزر، ولم يتابع فلولهم، وآثر السلامة مكتفيًا بما حقق من نصرٍ، وسلك طريق العودة نحو مدينة أردبيل[٨٧].

ومع حلول العام ١١١هـ/ ٧٢٩م أعاد الخزر الكرَّة، وهاجموا أذربيجان، حيث استولوا على مدن كثيرة من أذربيجان موقعين الخوف والرعب في نفوس سكانها، وأهلكوا الحرث، والنسل، وأتوا على الأخضر، واليابس، فتصدى لهم مسلمة بجيشه، ونجح في تفريق جموعهم، غير أنه كرر خطأه السابق حيث لم يتابع فلولهم، ولم يقم بتصفية بعض الجيوب التي خلَّفوها وراءهم[٨٨].

موقعة مرج أردبيل (١١٢هـ/ ٧٣٠م):

استمرَّت الحرب بين الخزر والدولة الأموية بصفةٍ شبه سنوية، ولم تكد تتوقَّف منذ عهد يزيد بن عبد الملك (١٠١- ١٠٥هـ/ ٧٢٠- ٧٢٤م)، وبالرغم من عدم توقف حملات المسلمين على بلادهم، ووقوع عددٍ من المعارك بين الجانبين خرج المسلمون في معظمها منتصرين، إلا أن ذلك لم يمنع تكرار هجماتهم على أذربيجان، كما أن هجمات المسلمين على الخزر لم تكن حاسمةً، ولم تنجح في كسر شوكتهم، فلم يكد قادة المسلمين يردون لهم جيشًا، حتى

يفاجئوا بجيشٍ آخر أكثر عددًا، وأحسن عُـدَّةً؛ حتـى أنهكـوا جـيش الخلافـة فـي قتالهم، وهذا ما دفع هشام بن عبد الملك إلى تغيير القيادة، فعـزل مسـلمة بـن عبـد الملك، وأعاد إليها الجراح الحكمي بحثًا عن نتيجـةٍ حاسـمةٍ، ونصـرٍ مبـينٍ علـى الخزر، وعلى الجانب الآخر فقد أعدَّ الخزر جيشًـا جـرارًا أضـعاف مـا تعـارف عليه المسلمون، وعقدوا عددًا من التحالفات مـع ملـوك جبـال القوقـاز للاشـتراك في الهجوم على الدولة الإسلامية[٨٩]، وبدأت هـذه الجمـوع فـي التحـرك فعبـروا نهر الرس[٩٠]، وبدأ الجراح في الاستعداد لملاقاتهم، وأعـاد تنظـيم جيشـه، وضـمَّ إليه عددًا من المتطـوعين لمواجهـة سـيل الخـزر الجـارف، وخـرج بـالجيش لملاقاتهم، والتقى بهم عند مرجِ أردبيـل[٩١]، شـمال أردبيـل، ودار قتـالٌ عنيـفٌ بين الجيشين، وكانت ملحمةً عظيمةً انتصر فيهـا الخـزر، وقتلـوا مـن المسـلمين عددًا كبيرًا من بينهم القائد الجراح بن عبد الله الحكمي[٩٢].

وبعد هزيمة جيش الخلافة في مرج أردبيل، ومقتـل عامـة الجـيش، وفـرار قلـة قليلة منه، أصبح طريق الخزر نحو حـدود الدولـة الإسـلامية مفتوحًـا، ولا يوجـد ما يعوقهم[٩٣]، وتقدمت جموعهم، وعاثوا فسادًا فـي منطقـة الجزيـرة، وارمينيـة، وأذربيجان، ووصلوا الموصل جنوبًا[٩٤].

وأخذت تنعقد في الأفق سحب داكنة، أخذت تزحـف ببطـيء نحـو دمشـق مهـدِّدةً ومعرضة الخلافة الأموية ذاتها إلى خطر الهلاك، فوقـع اختيـار هشـام بـن عبـد الملك على سعيد الحرشي لحرب الخزر[٩٥].

ولم يكن اختيار سعيد الحرشـي مـن بـاب المصـادفة؛ إذ إنـه -بالإضـافة إلـى كفاءته العسكرية- كانت له خبرة وسابق معرفة بقتال التـرك فـي خراسـان، ولـه

معهم صولات، وجولات، فبذل جهودًا كبيرةً في إعادة إحياء هذه الجبهة، فكان في سيره نحو أذربيجان يستنهض همم الناس، ويحثهم على الجهاد، ومقاتلة الخزر، وأخذ يجمع شعث وشتات جيش الجراح، ثمَّ شرع في تعقب جيش الخزر، ويسترد ما استولوا عليه المدينة تلو الأخرى، حيث بدأ بمدينة خلاط، فضرب عليها الحصار إلى أن استرجعها من أيديهم(٩٦).

وانتقل منها إلى مدينة برذعة(٩٧) التي فرَّ منها الخزر، فخرج إليه أهلها مستبشرين، وانخرط عددٌ كبيرٌ منهم في جيشه، ثمَّ توجَّه إلى مدينة ورثان، حيث كان الخزر قد فشلوا في حصارها فتركوها وولوا هاربين، فدخلها الحرشي بجيشه(٩٨).

واتجه الحرشي بعد ذلك بجيشه نحو مدينة أردبيل، حيث نجح في استعادة السيطرة عليها، وبدأ في الاستعداد للدخول مع الخزر في معركةٍ فاصلةٍ، فبدأ يتحرك بالجيش صوب جموعهم حيث عسكروا على مقربة من مدينة ورثان، فوصل قريبًا منهم ليلًا، ومع أول خيط للفجر انقضَّ على معسكر الخزر، وأعمل فيهم القتل، بعد أن عمَّ الهرج والمرج صفوفهم، ففرَّ عددٌ كبيرٌ منهم إلى مدينة برزند(٩٩)، وتحصنوا بها، فتقدم الحرشي نحوهم، واشتبك معهم في معركةٍ فاصلةٍ، واستمات الخزر في الدفاع عن مراكزهم الأمامية، وأجبروا المسلمين على التراجع، والتقهقر للخلف، وبدأت تلوح في الأفق نذر الهزيمة، ولم ينقذهم في هذه المعركة من هزيمةٍ قاسيةٍ سوى سماعهم أصوات استغاثة الأسرى المسلمين الذين وقعوا في قبضة الخزر، وهم ينادون عليهم، ويناشدونهم بالله ورسوله أن يفكوا أسرهم، فحض المسلمون بعضهم بعضًا

وتقدموا واضطروا الخزر إلى الفرار من ساحة المعركة، فسقط الكثير منهم غرقى في نهر الرسّ، وحمل المسلمون أسراهم، وغنائمهم، واسلابهم، وعادوا بها إلى مدينة باجروان لالتقاط الأنفاس، وترتيب الأوراق(١٠٠).

وعلى ما يبدو أن هذه الهزيمة قد آلمت الخزر كثيرًا، فأعادوا تنظيم جيش آخر أكثر عددًا، وأفضل عتادًا، بقيادة نجل خاقان الخزر، وتوجَّه هذا الجيش وعسكر على مقربة من مدينة البيلقان(١٠١)، فاستخلف الحرشي على أذربيجان، وترك لها حامية عسكرية لحمايتها، وانتقل بالجيش حيث التقى بالخزر عند نهر البيلقان(١٠٢)، وبعد أول يومٍ من القتال مال كل فريقٍ إلى فئته بعد أن جنَّ عليهم الليل، وقبيل الفجر باغت الحرشي بجيشه الخزر، وأخذوهم على حين غرة،وقتلوا منهم أعدادًا كبيرةً، وتكفل نهر البيلقان بالبقية الباقية، حيث غرق فيه الكثير بعد أن جرفتهم سرعة تياره، وأرسل الحرشي إلى هشام بن عبد الملك يخبره بما كان بينه وبين الخزر من أحداثٍ، ومعارك، وبما فتح الله على يديه(١٠٣).

وبعد هذا الانتصار الذي حققه الحرشي على الخزر، وقع له ما لم يكن في الحسبان؛ إذ إن مسلمة بن عبد الملك -والي الجزيرة، وأرمينية، وأذربيجان- أهان سعيد الحرشي، وأغلظ له القول، وأمر بسجنه، وحمله في الأغلال، بعد عزله عن ولاية اذربيجان، ولم ينقذ الحرشي من هذا الموقف الصعب سوى علم هشام بن عبد الملك بما حدث له، وأمره لمسلمة بفكِّ أسره، وتكريمه، ووبَّخ مسلمة على ما بدر منه تجاه الحرشي(١٠٤).وعلى ما يبدو أن مسلمة بن عبد الملك قد أقدم على هذا العمل عقابًا لسعيد الحرشي الذي تخطَّاه على سلم

ترتيب المناصب، وقام بمخاطبة هشام بن عبد الملك الخليفة رأسًا دون الرجوع إلى المنصب الأعلى منه مباشرةً، وهو مسلمة، ودون أن يطلعه على تفاصيل الأحداث.

هذه الأحداث التي اعقبت انتصار الحرشي على الخزر، كانت دافعًا لعودة مسلمة بن عبد الملك إلى أذربيجان، ومباشرة مهام عمله منها بنفسه، وأراد أن يستغل انتصار الحرشي على الخزر، وحالة الوهن التي أصابتهم، فقام بمطاردة فلولهم، وتصفية ما تبقى لهم من جيوبٍ مقاومة وتعقبهم من حصن إلى آخر إلى أن انتهى إلى مدينة باب الأبواب فقضى بها الشتاء(١٠٥).

ومع مطلع صيف عام ١١٣هـ/ ٧١٣م، واصل مسلمة نشاطه الحربي؛ للقضاء على خطر الخزر، فخرج بجيشٍ كبيرٍ استهلَّ به القلاع، والحصون الموجودة في جبال القوقاز، فاستولى على عددٍ كبيرٍ منها، ثمَّ أردف بالاستيلاء على مملكة شروان(١٠٦)، وعقد اتفاق صلح مع حاكمها، ثم عرج نحو الخزر، فتوغَّل في عمق أراضيهم حتى وصل جبال مدينة بلنجر حاضرة الخزر، ودخل معهم في معركةٍ لم تكن متكافئةً؛ إذ بدا الخزر متأثرين بما وقع لهم من هزائم على يد الحرشي، ومسلمة، فدارت عليهم الدائرة، وحاقت بهم الهزيمة، وأصبح الطريق مفتوحًا أمام مسلمة إلى مدن الخزر الرئيسية بعد فرار جيش الخزر، غير أن مسلمة تريَّث كثيرًا حتى وصل به إلى درجة التباطؤ، واغترَّ بنصره عليهم، وظنَّ أنه لن تقوم لهم قائمةٌ، فاستغلَّ الخزر هذا الموقف، وشكَّلوا جيشًا آخر، وأخذوا زمام المبادرة، وهاجموا جيش مسلمة الذي آثر التراجع، وكان هدفه السلامة، ونادى في الجيش بالانسحاب، وانحاز إلى أقرب فئةٍ، فتوجَّه بالجيش إلى مدينة باب الأبواب، وتحصَّن بها(١٠٧).

المبحث الثالث

المواجهة العسكرية الثالثة بين المسلمين والخزر

(١١٤- ١٣٢هـ/ ٧٣٢- ٧٥٠م)

كان مروان بن محمد أحد أفراد جيش مسلمة بن عبد الملك الذي خاض الحرب مع الخزر، وملوك جبال القوقاز، ورأى بأمِّ عينيْه ما حدث من إهانةٍ لسعيد الحرشي، وما ارتكبه مسلمة من أخطاء بعضها إدارية، ومعظمها حربية، وقد آلمته كثيرًا هذه الأحداث، فاغتنم فرصة توقف القتال، وذهب سرًّا إلى دمشق، واجتمع بالخليفة هشام بن عبد الملك، وأعرب له عن إستيائه الشديد من تصرفات مسلمة الإدارية، والحربية، وأوقف الخليفة هشام على طبيعة الموقف في الحرب مع الخزر، وسرد له أخطاء، وسقطات مسلمة، وطلب منه أن يوليه إمرة أذربيجان، وأن يمده بجيش كبيرٍ لمنازلة الخزر، ويزيل عن الخلافة الأموية غبار الفرار المهين الذي اتبعه مسلمة في آخر جولات الحرب معهم، فأجابه هشام إلى ما أراد(١٠٨).

وللحقيقة فإن مروان بن محمد كان يتمتَّع بعبقرية عسكرية، وكان يجيد الخدع العسكرية، حيث أعاد تشكيل الجيش من جديدٍ، وغيَّر من تنظيماته؛ ليواكب ويناسب طبيعة الحرب مع الخزر، حيث اعتمد في تشكيل الجيش على نظام الكراديس (الوحدات الصغيرة)، التي تعطي الجيش تماسكًا، وسرعة في الحركة(١٠٩).

وتعتبر ولاية مروان بن محمد لمنطقة الجزيرة وبلاد القوقاز فتحًا كبيرًا، وبداية لمرحلة فارقة في تاريخها؛ إذ إنه أعاد لها استقرارها، وهيبة الدولة الأموية في الحرب مع الخزر، حيث اتبع تكتيكات حربية ماكرة، فبعد أن ولاه الخليفة هشام بن عبد الملك، وأسند إليه حرب الخزر، طلب منه أن يمده بمائة وعشرين ألف مقاتلٍ، وأن لا يعلن وجهة هذا الجيش، وأن يظلَّ ذلك سرًّا حتى يحقق ما يريد، فتحرَّك بالجيش، وأظهر أنه يريد اجتياح مناطق القوقاز، وأنه يريد أن يتفرَّغ لهذا العمل، وأرسل إلى الخزر يطلب المهادنة، وعقد اتفاق سلام معهم، فأجابوه إلى ما أراد، وأرسلوا إليه من يقرر بنود الصلح، فلمَّا جاءه الرسل ظلَّ يماطلهم، حتى استكمل استعداداته الحربية، ولمَّا أصبح على أهبة الاستعداد، طردهم وآذنهم بالحرب، وسيرهم إلى بلادهم عبر طريق فيه بُعد، ومشقة، وسار هو بجيشه نحو الخزر من أقصر الطرق، فما أن وصلت رسل الخزر إلى بلاط خاقانهم، إلا ومروان في عقبهم يطرق أبوابهم، وأخذهم على حين غرةٍ، فلم يجد الخزر سوى محاولة الفرار، ومروان يتعقَّبهم بجيشه، حتى وصل إلى أقاصي بلادهم، وفي طريق عودته أخذ يدمِّر مدنهم الرئيسية، حتى لا تقم لهم قائمة سريعًا(١١٠).

ثم عرج مروان بجيشه على جبال القوقاز، وتنقل بين حصونها الرئيسية، فاستهلَّ حملته باقتحام مملكة السرير(١١١)، وأرغمهم على دفع فدية سنوية، ثمَّ توجَّه إلى قلعة حمزين(١١٢)، ودخلها عنوةً، وفرض عليها فدية سنوية من مالٍ، وعبيدٍ، تدفع بصفةٍ دوريةٍ، ثمَّ جاز الدرب نحو مملكة اللكز(١١٣)،

فحاول حاكمها الفرار، واللجوء إلى الخزر، فقتله أحد أتباعه، وعين مروان عليها حاكمًا جديدًا(١١٤).

وبالنظر إلى حماسة مروان ونيته التي أظهرها في قتال الخزر، كان المأمول أن يواصل الحرب معهم، حتى يقضي على خطرهم، ولكنه بعد هذه الحملة المزدوجة على الخزر، وملوك القوقاز، توقَّف عن الحرب بصورةٍ مفاجئةٍ، ومكث لمدة ثلاث سنواتٍ متواليةٍ، لم تكن له فيها مع الخزر حرب، وعلى ما يبدو أن الحرب مع الخزر قد تأثرت بأحداث العالم الإسلامي آنذاك، فوقوع الطاعون الذي ضرب الشام، والعراق سنة ١١٥هـ/ ٧٣٣م، وربَّما القحط الشديد الذي أصاب خراسان(١١٥)، وهذه الأقاليم تعتبر من الناحية العملية مستودع الإمدادات لجيوش الخلافة الأموية، كما أنها هي الظهير الحربي لجبهة الخزر، وبيزنطة، ويمكن اعتبار المصاب الأليم

الذي أصاب الدولة الأموية في موقعة بلاط الشهداء(١١٦) جنوب فرنسا، وارتداد جيوش الخلافة عن جنوب أوروبا(١١٧)، ويمكن اعتبار هذه العوامل جميعًا سببًا في حدوث فترة السكون التي أعقبت أولى صولات مروان مع الخزر.

ويبدو أن الخزر وملوك جبال القوقاز قد أرادوا استغلال حالة الوهن، والحزن التي عمَّت العالم الإسلامي، وأخذوا يتعاونون فيما بينهم لشنِّ حملة جديدةٍ على حدود الدولة الإسلامية، يردُّون بها اعتبارهم بعد هزيمتهم السابقة، غير أن مروان كان سبَّاقًا في الهجوم، فخرج إليهم بجيشه سنة ١١٧هـ/ ٧٣٥م، وشنَّ عليهم حربًا وقائية، واستولى على عددٍ من الحصون،

والقلاع، التي أبدت تعاونًا مع الخزر، وأحكم قبضته على الطرق، والممرات على الطريق الرئيسي إلى بلاد الخزر(١١٨).

ولما دهم الشتاء مروان قفل عائدًا إلى قواعده في منطقة الجزيرة، ثمَّ عاد مرةً ثانيةً إلى جبال القوقاز سنة ١١٨هـ/ ٧٣٦م، واستولى على معظم القلاع، والحصون القريبة من الخزر، والتي قد تشكِّل خطرًا عليها(١١٩).

ورأى مروان في محاولات ملوك جبال القوقاز التحالف مع الخزر خطرًا يهدد حدود الدولة الأموية ووجودها، فشنَّ عليهما حربًا عسكريّة موسعة، بدأها بقلعة اللان(١٢٠) سنة ١١٩هـ/ ٧٣٧م، حيث ضرب عليها الحصار إلى أن سقطت في يديه، فقام بتدمير تحصيناتها، ثم عرج نحو مناطق الخزر، فاستولى على أهم مدنها الرئيسية، فدخل مدينة بلنجر بدون عناء، ثمَّ استولى على مدينة سمندر(١٢١)، ومنها إنتقل إلى مدينة البيضا، حيث فرَّ إليها خاقان الخزر، ووزراؤه، وخاصته، وضرب عليها الحصار، وضيق عليهم الخناق، حتى يئس الخزر من تراجع مروان، فخرجوا منها هائمين على وجوههم، فدخلها مروان، وأقام بها، وجعلها قاعدة لانطلاق حملات الإغارة، والتتبع لفلول الخزر الهاربة(١٢٢).

وقد تواصلت هذه الحملة إلى عام ١٢٠هـ/ ٧٣٨م حيث امتدَّ نشاط مروان إلى ما تبقى من مناطق الخزر الشمالية النائية، وفي طريق عودته إلى أذربيجان، سلك الطرق المؤدية إلى ممالك، وملوك جبال القوقاز، فاستولى على ما كان قد خرج عن قبضته من حصونٍ، وقلاعٍ(١٢٣).

وفي العام ١٢١هـ/ ٧٣٩م أعاد مروان الكرَّة بالهجوم على جبال القوقاز، وكانت وجهته هذه المرة مملكة السرير، وما جاورها من قلاعٍ، وحصونٍ، فدخلها عنوةً ، وفرض على حكَّامها دفع فدية سنوية(١٢٤).

وأعقب هذا النشاط العسكري المحموم الذي قام به مروان بن محمد -والي أذربيجان- فترة من السكون طالت قليلًا إلى بداية عصر الدولة العباسية، وللحقيقة فإن ظروف الدولة الأموية الخارجية، والداخلية، قد فرضت هذا السكون، ففي سنة ١٢٢هـ/ ٧٣٩- ٧٤٠م لقيت الدولة الأموية الهزيمة في الحرب مع بيزنطة في موقعة أكروينون[١٢٥]، وقتل القائد عبد الله البطال[١٢٦]، كما أن الاضطرابات بدأت تموج في الدولة الأموية منذ أواخر عهد هشام بن عبد الملك، ففي الشرق من الدولة الأموية قامت حركة معارضة قوية، وتذمر أهل السند؛ بسبب الجزية التي كانت تؤخذ منهم رغم دخولهم الإسلام، ولقد حاول هشام قدر جهده وقف الفتنة، والقضاء على عوامل الاضطراب، ولكن كانت الظروف أقوى منه، والأرض تميد من تحته، ومنذ منتصف عهد هشام بدأت الأمور تضطرب في الغرب، وكان البربر وراء هذا الاضطراب، الذي زلزل كيان الدولة الأموية بعنف، حيث تذمر البربر من العمال العرب بعد موت الخليفة عمر بن عبد العزيز؛ لأنهم صاروا يعاملونهم معاملةً سيئةً، ويذلونهم بأداء الجزية رغم كونهم مسلمين صادقين في إسلامهم، ويشتركون معهم في الجهاد بحماس، ولقد أدَّت هذه المعاملة إلى إبغار صدور البربر على الدولة الأموية، كما اضطرمت الأندلس بالفتن، وخرجت من حظيرة الدولة الأموية، ولم يبقَ للخلافة عليها سوى سلطة اسمية، واستقلَّ الزعماء المتغلبون بحكم إفريقية بعد أن خرجت أطرافها القصوى عن قبضة الخلافة، وأخذ ملك بني أمية يهتزُّ فوق بركان مضطرم من الدعوة العباسية[١٢٧].

وقد حاول مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية جاهدًا الحفاظ على ملك الأمويين، ولكن كانت الظروف والأسباب والدوافع أقوى منه، فسقطت الدولة في عهده بعد أن سقط قتيلًا على أيدي العباسيِّين.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، والصلاة والسلام على من ختم الله به النبوات، وعلى آله وصحبه الذين كان ولاؤهم وتشيعهم لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وللحق الذي جاء به، وكانوا بنعمة الله إخوانًا في جميع الأوقات.

وبعد:

في خاتمة هذا البحث أحب أن أبرز بعض الحقائق الموضوعية المتمثلة فيما وفقني الله -سبحانه وتعالى- إلى الوصول إليه من نتائج:

- الخزر أمةٌ ذاتُ تاريخٍ وحضارةٍ عريقةٍ، تحتاج إلى كثيرٍ من الجهود لتبر أغوارها.
- تكمن مشكلة دراسة تاريخ الخزر في كثرة مصادره، وتنوع لغاتها، وعدم اختصاص دولة، ولا منطقة بتاريخها.
- علاقة الدولة الإسلامية مع الخزر كانت متقلبة في معظم أحوالها، ولم تثبت على حال.
- وعورة مناطق الخزر، وصعوبة الطقس حال بين الدولة الإسلامية، وبين الاستقرار في مناطق الخزر التي دانت لحكمهم، وبالتالي غياب الدور الحضاري للدولة الإسلامية في هذه المنطقة، فلم ينتشر الإسلام بين أهلها كغيرهم من الأمم، بل وقف الخزر كحجر عثرة في طريق المد الإسلامي في الشمال.

- تطور العلاقة بين الخزر والإمبراطورية البيزنطية، ودخولهم في تحالف ضد الدولة الإسلامية أطال أمد الحرب بين الدولة الإسلامية والخزر.
- تأثر الخزر بأحوال الدولة الإسلامية قوةً، وضعفًا، ففي فترات ازدهار قوة الدولة الإسلامية نجد تخاذلًا وتراجعًا من الخزر، وفي فترات الوهن والتنازع نجد في المقابل جرأةً وهجومًا على الحدود الإسلامية.
- الحاجة الماسَّة لدراسة تاريخ الخزر، لا سيَّما بعد اعتناقهم اليهودية، واثر ذلك في تطور العلاقة مع الدولة الإسلامية، وخاصة أن الخزر ظلُّوا على وثنيتهم خلال العصر الأموي، ولم يتم اعتناقهم اليهودية إلا في العصر العباسي.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر العربية:

- **ابن الأثير:** عز الدين أبو الحسن بن الكرم الشيباني (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م):

أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، محمد أحمد عاشور، ط: دار الشعب- القاهرة، (د. ت).

الكامل في التاريخ، صححه: محمد يوسف الدقماق، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

ابن حوقل: أبو القاسم بن حوقل النصيبي:

- صورة الأرض، الطبعة الثانية، طبعة ليدن ١٩٣٩م.

- **ابن خرداذبة:** أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة (ت ٣٠٠هـ/ ٨٦٧م):

- المسالك والممالك، ط: ليدن، ١٣٠٩هـ.

- **ابن خلدون:** عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م):
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط الحواشي ووضع الفهارس: خليل شحاته، ط: بيروت، ١٩٨٨م.
- **ابن دريد:** الاشتقاق، ط: ليدن، ١٨٥٤م.
- **ابن سعد:** محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت.
- **ابن الشحنة:** محب الدين محمد بن الشحنة: الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ط: بيروت، ١٩٠٩م.
- **ابن طباطبا:** محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ط: القاهرة، ١٣١٧هـ.
- **ابن العربي:** القاضي أبو بكر بن العربي (ت ٤٥٣هـ)، العواصم من القواصم، تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد محب الدين الخطيب، ط: الرياض.
- **ابن عساكر:** أبو القاسم علي بن الحسن بن وهبة الله بن هبد الله بن عساكر، تاريخ دمشق، دمشق، المجمع العلمي.
- **ابن الفقيه:** أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني (ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م)، مختصر كتاب البلدان، ط: ليدن، ١٣٠٢هـ.
- **ابن كثير:** أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٨٢م)، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد عبد الوهاب، ط: ٥، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- **ابن الوردي:** سراج الدين أبو حفص عمر بن الوردي (ت ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م):

١- خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ط: القاهرة، ١٩٣٩م.

٢- تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي)، تحقيق: أحمد رفعت البدراوي، ط١، بيروت، دار المعرفة.

- **أبو الفداء:** عماد الدين إسماعيل بن نور الدين (ت ٧٣٢هـ= ١٣٣٢م)، تقويم البلدان، تحقيق ماك ديسيلان- المطبعة السلطانية ١٨٤٠م.

- **الأزدي:** يزيد بن محمد بن إياس (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م):

- تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، ط: القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

- **الأشعري القرطبي:**

- التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب، تحقيق سعيد عبد المقصود، ط: القاهرة، ١٩٩٠م.

- **الاصطخري:** أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي (المتوفى ٣٤٦هـ):

- المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م

- **البغدادي:** صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩هـ= ١٣٣٨م):

- مراصد الاطلاع في ذكر الأزمنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ.

- **البكري:** أبو عبيد بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٧م):

١- المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م.

٢- معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، ط: القاهرة، ١٩٥٢م.

- **الحموي:** ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ= ١٣٢٨م):

- معجم البلدان، دار صادر، بيروت.

- **خليفة بن خياط:** (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م):

- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط: الرياض، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- **الخوارزمي:** أبو بكر عبد الله بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي:

- مفاتح العلوم، مطبعة الشرق، القاهرة، ١٢٣٢هـ.

- **الدينوري:** أبو محمد عبد الرحمن بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت ٢٧٠هـ: المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط٤، القاهرة، ١٩٦٩م.

- **الذهبي:** شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان، ط: القاهرة، ١٣٦٨هـ.

- **الزبيري:** أبو عبد الله المصعب بن المصعب الزبيري (ت ٢٣٦هـ) نسب قريش، ط: القاهرة، ١٩٥١م.

- **السيوطي:** جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، الوسائل في معرفة الأوائل، تحقيق: إبراهيم العدوي، ط: الخانجي- القاهرة.

- **الطبري:** محمد بن جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الأمم والملوك، ط: بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- **العسقلاني:** شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م)، الإصابة في تمييز الصحابة، ط: بيروت، (د. ت).

- **القلقشندي:** أبو العباس أحمد بن عبد الله القلقشندي (ت ٨٢٠هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية- القاهرة ١٩٢٢م.

- **الكوفي:** أحمد بن محمد بن أعثم (ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م)، الفتوح، ط: بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- **المقدسي:** شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المقدسي (ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط ٢، ليدن، ١٩٠٩م.

- **اليعقوبي:** أحمد بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، تاريخ اليعقوبي، ط: بيروت، ١٩٨٠م.

ثانيًا: المراجع العربية والمترجمة:

- **أحمد زيني دحلان:** الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، ط: القاهرة.

- **أحمد محمود الساداتي:** محاضرات في تاريخ الدولة الإسلامية بآسيا الوسطى- القاهرة- دار نافع للطباعة ١٩٧٦م.

- **أديب السيد:** أرمينية في التاريخ العربي، ط١، (د.م)، ١٩٧٢م.

- **أمين واصف:** الفهرست معجم الخريطة التاريخية للمالك الإسلامية، تحقيق: أحمد زكي، ط: القاهرة، ١٩١٦م.

- **حسن إبراهيم حسن:** تاريخ الإسلام السياسي، ط: القاهرة، ١٩٣٥م.

- **دنلوب:** تاريخ يهود الخزر، ترجمة: د/ سهل زكار، ط٢، دمشق، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

- **راضي عبد الله:** دراسات في تاريخ خراسان في العصر الأموي (٤٠-١٣٢م)، ط: القاهرة، ١٩٨٧م.

- **رانسيمان:** الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، ط: القاهرة.

- **رفيق العظم:** أشهر مشاهير الإسلام في الحروب والسياسة، ط: القاهرة.

- **السيد الباز العريني:** الدولة البيزنطية، ط: القاهرة، ١٩٦٠م.

- **السيد محمد يونس:** الفتوحات وأثرها في نشر الإسلام (عصر الراشدين)، ط: المنصورة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- **عبد الشافي عبد اللطيف:** تاريخ العالم الإسلامي في العصر الأموي- القاهرة ١٩٨٤م.

- **عبد الوهاب النجار:** تاريخ الإسلام/ الخلفاء الراشدين، ط: القاهرة، (د. ت).

- **عمر رضا كحالة:** معجم قبائل العرب، ط: دمشق، ١٩٤٩م.

- **فايز نجيب إسكندر:** الفتح الإسلامي لبلاد الكرج، ط: الإسكندرية، ١٩٨٨م.

- **فتحي عثمان:** الحدود الإسلامية البيزنطية، ط: القاهرة، (د. ت).

- **محمد بن عبد الله عنان:** دولة الإسلام في الأندلس، ط: القاهرة، ٢٠٠١م.

- **المغربي:** محمد عبد الشافي المغربي، مملكة الخزر اليهودية وعلاقتها بالدولة الإسلامية والبيزنطية في العصور الوسطى، ط: دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.

- **وسام عبد العزيز فرج/ جوزيف نسيم:** العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي، ط: الإسكندرية، (د. ت).

- **يوسف عزت:** تاريخ القوقاس، ترجمة: عبد الحميد غالب، ط: القاهرة، ١٩٣٣م.

الهوامش

(١) أران، وأرمينية، وأذربيجان.

(٢) بلاد الكرج: جورجيا.

(٣) ابن حوقل: (أبو القاسم بن حوقل النصيبي)، صورة الأرض، الطبعة الثانية- ليدن ١٩٣٩م: ٣٨٨/٢، البغدادي: (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ت ٧٣٩هـ= ١٣٣٨م)، مراصد الاطلاع في ذكر الأزمنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي- الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ: ١٥٨/١، دائرة المعارف الإسلامية: ٦٤٣/١، أحمد الساداتي، محاضرات في تاريخ الدول الإسلامية في آسيا الوسطى- طبعة دار نافع- القاهرة ١٩٧٦م: صـ٥٩.

(٤) إتل: تقع إلى الشمال الشرقي من منطقة القوقاز، وعلى نهر إتل. انظر الحموي: (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ت ٦٢٦هـ= ١٣٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت: ٢٧٢/٢، البغدادي، مراصد الاطلاع: ٢٣/١.

(٥) البلنجر: أشهر مدن الخزر، وعاصمة بلادهم، وأكبر مدنهم، وتقع شمال إقليم القوقاز. اليعقوبي: (أحمد بن جعفر بن واضح اليعقوبي ت ٢٨٤هـ= ٨٩٧م)، تاريخ اليعقوبي، دار بيروت للطباعة- بيروت: ١٧٨/١، الحموي، معجم البلدان: ١٢/٢، البكري: (أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري ت ٤٨٧هـ= ١٠٩٤م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا- مطبعة لجنة التأليف، القاهرة ١٩٥٢م: ٢٧٦/١.

(٦) البغدادي، مراصد الاطلاع: ١٥٢/١، ابن حوقل، صورة الأرض: ٣٨٨/٢.

(٧) الخاقان: وهي خان خان أي رئيس الرؤساء، أو أمير الحرب الأعلى، ويسمَّى أحياناً ملك السباع. الخوارزمي: (أبو بكر عبد الله بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي)، مفاتح العلوم، مطبعة الشرق- القاهرة ١٢٣٢هـ: صـ٧٣.

(٨) الحموي، معجم البلدان: ٦٦/٢، البغدادي، مراصد الاطلاع: ١٥٢/١.

(٩) الساداتي، محاضرات في تاريخ الدول الإسلامية: صـ٥٩، دحلان: (أحمد زيني دحلان)، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، المطبعة الحسينية، القاهرة: ٥٩/١.

(١٠) محمد عبد الشافي المغربي، مملكة الخزر اليهودية وعلاقتها بالدولة الإسلامية والبيزنطية في العصور الوسطى، ط دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٢م: صـ٣٧.

(١١) الحموي، معجم البلدان: ١/٣٠٤.

(١٢) ابن سعد: (محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري)، الطبقات الكبرى، دار صادر- بيروت: ١/٤٧.

(١٣) الطبري: (أبو جعفر محمد بن علي الطبري ت ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك- طبعة بيروت، دار المعارف القاهرة ١٩٨٨م: ١/١٨٦.

(١٤) أبو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م: ١/٤٩٠.

(١٥) جستنيان الثاني: كانت فترة حكمه تتميز بالتدهور السياسي في الإمبراطورية البيزنطية، فقد فقدت -على وجه التقريب- كل ما أقامه قسطنطين الرابع، حيث كان يفتقر إلى الحرص وبُعد النظر، وكان ذا طبيعة استبدادية مندفعة. انظر: وسام عبد العزيز فرج، جوزيف نسيم، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي، طبعة الإسكندرية: صـ٤١.

(١٦) وللمزيد انظر: وسام عبد العزيز، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية: صـ٢٠٤- ٢٠٥، دنلوب، تاريخ يهود الخزر، ترجمة: د/ سهيل زكار، ط٢، دمشق، ١٤١٠هـ= ١٩٩٠م: صـ١٩- ٢٣.

(١٧) هو: المغيرة بن شعبة بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف، وأمه أسماء بنت أفقم، ويكنى أبا عبد الله، ويقال له: مغيرة الرأي، وأول مشاهده الحديبية، ولاه عمر البصرة، والكوفة، فعزله عثمان، وولاه معاوية الكوفة. انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٤/٢٨٤- ٢٨٥.

(١٨) تقع أذربيجان إلى الشمال الشرقي لديار ربيعة، والجزيرة، ويحيط بها من الشمال أران، ومن الشرق بحر الخزر (قزوين)، وإقليم الجبال وجيلان، ومن الغرب أرمينية، وبلاد الجزيرة، كما تتميَّز أذربيجان بعدَّة ظواهر طبيعية أهمها الجبال الشاهقة، مثل: جبل سيلان غربي أردبيل، وجبل أرارات، كما تجري بأذربيجان مجموعة أنهار وبحيرات أهمها: نهر الرش شمالي أذربيجان، وتشترك أرمينية وأذربيجان وأران في مجرى هذا النهر، وفي الجنوب يجري نهر

إسفيذروج (النهر الأبيض)، وإلى جانب الأنهار توجد البحيرات، مثل: بحيرة أرمية في وسط أذربيجان إلى الغرب قليلًا، كما كانت توجد بحيرة المراغة إلى الجنوب. الحموي، معجم البلدان: ١/١٦٠، الاصطخري: (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفاسي الاصطخري الكرخي ت ٣٤٦هـ)، المسالك والممالك، دار صادر- بيروت: صـ١٠٨.

(١٩) سراقة بن عمرو: لم ينسب، يلقب بذي النور، من جلة الصحابة، له دورٌ بارزٌ في فتوحات أرمينية، وأذربيجان، ومات غازيًا في أرمينية، عن ذلك انظر: ابن الأثير (عز الدين أبي الحسن)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد إبراهيم البنا- محمد أحمد عاشور، ط: القاهرة، (د. ت): ٢/٣٣٠، رفيق العظم، أشهر مشاهير الإسلام في الحروب والسياسة، ط: القاهرة: صـ٦٦٥، دخلان، الفتوحات الإسلامية، ط: القاهرة: صـ١٠٧- ١٠٨.

(٢٠) عبد الرحمن بن ربيعة: تولى لعمر قضاء جيش القادسية، وقسمه الخراج والفيء فيها، له دورٌ بارزٌ في الحرب مع الخزر. عن ذلك انظر: العسقلاني: (شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ت ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، ط: بيروت، (د. ت): ٤/١٥٨- ١٥٩، الأشعري القرطبي، التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب، تحقيق: سعيد عبد المقصود، ط: القاهرة، ١٩٩٠: صـ٩٤، عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب، د: دمشق، ١٩٩٤م: ١/٦٠.

(٢١) باب الأبواب: هي إحدى نواحي أران، شمالها الشرقي على بحر الخزر، وفي وسطها مرسى للسفن، وكانت مسحتها ميلين في ميلين، وكانت قد بناها كسرى أنوشروان. عنها انظر: الحموي، معجم البلدان: ٢/٩، ابن حوقل، صورة الأرض: ٢/٣٣٩، البغدادي، مراصد الاطلاع: ١/٥٥.

(٢٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٢/٥٤٠، ٥٤٣، يوسف عزت، تاريخ القوقاس، ترجمة: عبد الحميد غالب، ط: القاهرة، ١٩٣٣: صـ١١.

(٢٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط: بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م: ٣/٢٨.

(٢٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٢/٥٤٠، ٥٤٣، عبد الوهاب النجار، تاريخ الإسلام/ الخلفاء الراشدين، ط: القاهرة، (د. ت): صـ١٦٧.

(٢٥) بكير بن عبد الله: أحد قادة الفتوحات الإسلامية، وكان له دورٌ كبيرٌ في فتوحات فارس، وأذربيجان. عنه انظر: الطبري، تاريخ الأمم: ٥٣٩/٢، ابن الأثير، الكامل: ٢٧/٣- ٢٨.

(٢٦) موقان: إلى الشمال من أردبيل، وتقع ضمن أعمالها، انظر: المقدسي: (شمس الدين أبي عبد الله بن أبي بكر المقدسي ت ٣٨٨هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٢، ليدن، ١٩٠٩م: صـ٣٧٨، الحموي، معجم البلدان: ٣٤١/٤.

(٢٧) ونصَّ الأمان على: «بسم اللَّه الرحمن الرحيم هذا ما أعطى بكير بْن عبد الله اهل موقان من جبال القبج الأمان على أموالهم، وأنفسهم، وملتهم، وشرائعهم، على الجزاء -الجزية-، دينار على كل حالم، أو قيمته، ودلالة المسلم -أي هدايته في الأسفار-ونزله يومه وليلته -أي ضيافته-». الطبري، تاريخ الأمم: ١٧٥/٤.

(٢٨) حبيب بن مسلمة: ينتهي نسبه إلى فهر بن مالك، يقال له: حبيب الروم؛ لكثرة حروبه، ونكايته فيهم، قيل إنه كان مستجاب الدعوة، وحينما حوصر أمير المؤمنين عثمان بعثه معاوية بن أبي سفيان إليه، ومات رسول الله وعنده ١٢ عامًا، ولم يغز مع النبي ﷺ غزوة واحدة. انظر: الزبيري: (أبو عبد الله المصعب الزبيري ت ٢٣٦هـ)، نسب قريش، ط: القاهرة، ١٩٥١م: صـ٤٤٧، ابن العربي: (أبو بكر بن العربي ت ٥٤٣هـ)، العواصم من القواصم، تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، تحقيق: محمد محب الدين الخطيب، ط: الرياض: صـ٢٤٤، ابن الأثير، أسد الغابة: ٤٩/١.

(٢٩) تفليس: وهي مدينة بنواحي أران تقع على أحد فروع نهر المر بالقرب من بلاد الكرج. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ١/-٣٦٣، ابن حوقل، صورة الأرض: ٣٤٠/٢.

(٣٠) اللان: إلى الشمال الغربي من أردبيل، وتتميز بحصانتها، ومنعتها الحربية. انظر: ابن الوردي: (سراج الدين أبي حفص عمر بن الوردي ت ٧٥٠هـ)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، طبعة القاهرة ١٩٣٩م: صـ٥٢، نجيب إسكندر، الفتح الإسلامي لبلاد الكرج، ط: الإسكندرية، ١٩٨٨م: صـ٣٦- ٣٧.

(٣١) سلمان بن ربيعة: ولي قضاء الكوفة لعمر بن الخطاب، كما ولي له خيل الكوفة؛ ولذا سمي سلمان الخيل، له صولات في الحرب في أذربيجان، وفتوح الشام. انظر: الدينوري: (أبو محمد

عبد الرحمن بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت ٢٧٠هـ)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٤، القاهرة، ١٩٦٩م: صـ٤٣٣، السيوطي: (جلال الدين عبد الرحمن السيوطي)، الوسائل في معرفة الأوائل، تحقيق: إبراهيم العدوي، ط: القاهرة: صـ١٠٨.

(٣٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٢/٥٤٠- ٥٤٣، رانسيمان، الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، ط: القاهرة: صـ٣٥٥.

(٣٣) هو: عبد الرحمن بن ربيعة بن يزيد الباهلي، وكان يلقب هو الآخر ذا النور، ولاه عمر قضاء الجيش الذي وجهه إلى القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص، وعهد إليهم تقسيم الغنائم، ثمَّ ولاه الباب، وقتال الترك، والخزر، واستمرَّ في ولايته هذه إلى أن استشهد في بعض وقائعه. انظر: القرطبي، التعريف في الأنساب لذوي الأحساب: صـ٩٤، الزركلي، الأعلام: ٢/٤٩٣.

(٣٤) البلنجر: عاصمة بلاد الخزر، وأكبر مدنهم، وتقع إلى الشمال من مدينة باب الأبواب، شهد فتحها عددٌ من الصحابة، منهم: سلمان الفارسي. ابن خرداذبة: (أبو القاسم بن عبد الله بن خرداذبة ت ٣٠٠هـ)، المسالك والممالك، ط: ليدن، ١٣٠٩هـ: صـ١٢٤، الحموي، معجم البلدان: ١/٣٨٦- ٣٨٧، ٢/١٢، البكري، معجم ما استعجم: ١/٢٧٦.

(٣٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٢/٥٤٢- ٥٤٣، ابن الأثير، الكامل: ٣/٢٩- ٣٠، السيد محمد يونس، الفتوحات وأثرها في نشر الإسلام (عصر الراشدين)، ط: المنصورة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م: صـ١٥٨.

(٣٦) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٢/١٨٥، ابن عساكر: (أبو القاسم علي بن الحسن بن وهبة الله بن عبد الله)، تاريخ دمشق، دمشق، المجمع العلمي: ١/١٧٨.

(٣٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢/٤١٢.

(٣٨) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٤/١٥٨، ابن عساكر، تاريخ دمشق: ١/١٨، ومدينة البيضا: من أشهر مدن الخزر بعد مدينة البلنجر عاصمة بلادهم، وأكبر مدنهم. انظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ١/١٧٨، الحموي، معجم البلدان: ٢/١٢.

(٣٩) أردبيل: وهي عاصمة أذربيجان، وتقع شمال شرق أذربيجان، وكانت قد بناها أردبيل بن لنطي، ونسبت إليه، ثمَّ بناها فيروز قباذ. الحموي، معجم البلدان: ١/١٨٢، ١٨٣، القلقشندي:

(أبو العباس أحمد بن عبد الله القلقشندي ت ٨٢٠هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة- دار الكتب المصرية ١٩٢٢م: ٥/٢٧.

(٤٠) ابن الأثير، الكامل: ٢/٤٣١، ابن الوردي، تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي)، تحقيق: أحمد رفعت البدراوي، ط: ١، بيروت، دار المعرفة: ٦/٢٢٦.

(٤١) عن تفاصيل ذلك انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٢/٥٤٢- ٥٤٣، السيد محمد يونس، الفتوحات: صـ١٥٨- ١٥٩.

(٤٢) شميشاط: إلى الغرب من مدينة أردبيل، وهي ضمن حدود أرمينية. انظر: الحموي، معجم البلدان: ٣/١٥٥.

(٤٣) خلاط: أحد أهم مدن أرمينية، وهي عاصمتها، وأشهر مدنها، وتقع إلى الغرب من أردبيل. انظر: الحموي، معجم البلدان: ٢/٢٤١، ابن الوردي، خريدة العجائب: صـ٤٣.

(٤٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٢/٥٩٢، الكوفي: محمد بن أعثم (ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م)، الفتوح/ ط: بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م: ١/٣٤١.

(٤٥) ابن الأثير، الكامل: ٢/٥٠٣.

(٤٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٢/٦٢٧.

(٤٧) اشترك في هذه الحملة عددٌ كبيرٌ من الصحابة والتابعين، أمثال: سلمان الفارسي، وأبو هريرة، ويزيد بن معاوية النخعي، ومعضد الشيباني، وعمرو بن عتبة، وأظهر هؤلاء الصحابة في المعركة دروبًا من الشجاعة، والإقدام، واستشهد عددٌ كبيرٌ منهم في هذه المعركة، ودفن بعضهم بالقرب من مدينة البلنجر. عن تفاصيل ذلك انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٢/٦٢٧- ٦٢٩، ابن الأثير، الكامل: ٣/١٣١- ١٣٣.

(٤٨) جيلان: واسم جيلان لبلادٍ كثيرة فيما وراء طبرستان. الحموي، معجم البلدان: ٣/١٩٤، ٤/١٨٦.

(٤٩) جرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان. الحموي، معجم البلدان: ٣/٧٥.

(٥٠) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٢/٦٢٧- ٦٢٩، ابن الأثير، الكامل: ٣/١٣١- ١٣٣، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، ط: القاهرة، ١٩٣٥م: ١/٢٨٤.

(٥١) جرزان: منطقة واسعة تقع إلى الشمال من إقليم القوقاز، عاصمتها تفليس. انظر: الحموي، معجم البلدان: ٨٣/٣.

(٥٢) الكوفي، الفتوح: ١١٢/٢، ١١٣، ابن خلدون، العبر: ٥٨٥/٢.

(٥٣) ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد عبد الوهاب، القاهرة: ٢٣٩/٧، عبد الشافي عبد اللطيف، تاريخ العالم الإسلامي: صـ١٤٠.

(٥٤) فايز اسكندر، الفتح الإسلامي لبلاد الكرج: صـ٦٤، ٦٥، عبد الشافي عبد اللطيف، تاريخ العالم الإسلامي: صـ١٤١.

(٥٥) خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط: الرياض، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م: صـ٢٠٨، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام: ٢٨٤/١.

(٥٦) عن تفاصيل هذه الأحداث انظر: ابن كثير (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٨٢م)، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد عبد الوهاب، ط٥، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م: ١٤٢/٨- ١٦٣، ٢٢٥- ٢٧٥.

(٥٧) ابن الأثير، الكامل: ٢٤١/٤، الذهبي، تاريخ الإسلام: ٦٠/١.

(٥٨) الكوفي، الفتوح: ١٧٠/٢، ابن كثير، البداية والنهاية: ١٠٩/٩.

(٥٩) عن مناطق الثغور والحدود الإسلامية البيزنطية انظر: ابن الشحنة، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ط: بيروت، ١٩٠٩م: صـ١٩١، فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ط: القاهرة، (د. ت): ٣٣٣/١.

(٦٠) عن تفاصيل وأحداث هذه الحملات انظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: صـ٣٠١، ٣٠٢، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢٨٣/٢، الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٦٧٣/٣، ٦٧٩، ٦٨١، ١١/٤، ١٣، ٢١، ٢٦، ٤٣.

(٦١) البسفور: مضيق وممر مائي، يفصل تركيا الأوروبية عن تركيا الآسيوية، ويصل البحر الأسود ببحر مرمرة. الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي: ٤٣٤/١١.

(٦٢) لعبت أرمينية دورًا مهمًا بالنسبة للدولة الإسلامية في صراعها مع بيزنطة بحكم موقعها الحاجز بينهما، وهذا الموقع الجغرافي جعلها مقسمة الولاء، ومنهارة سياسيًا، فتوالى الفريق الأقوى والمنتصر، وتقدم له يد العون، وهذا الموقف السياسي كان مع الدولة الفارسية قبل

ظهور الإسلام. عن تفاصيل طبيعة وأهمية موقع وموقف أرمينية انظر: وسام عبد العزيز فرج/ جوزيف نسيم، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية: صـ٢٠٠- ٢٠١.

(٦٣) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، وكان يلقب بالجرادة الصفراء لصفرة كانت تعلوه، وفتح فتوحًا كثيرة في بلاد الروم بين بلاد، وحصون، وقلاع، ومدن، وأبلى بلاءً حسنًا في قتال الخزر، كما كان= =له دور كبير في حصار القسطنطينية في عهد سليمان بن عبد الملك. للمزيد انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٢٤١/٢، الزبيري، نسب قريش: صـ١٦٥.

(٦٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٦٨٠/٣.

(٦٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٣/٤، الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط: القاهرة، ١٣٦٨هـ: ٣٢٣/٣.

(٦٦) وسام عبد العزيز، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية: صـ١١٧.

(٦٧) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: صـ٣١٩، الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٦١/٤.

(٦٨) ابن كثير، البداية والنهاية: ٢٠٩/٩.

(٦٩) وللمزيد انظر: السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية، ط: القاهرة، ١٩٦٠م: صـ١٦٧، وسام عبد العزيز، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية: صـ٢٠٤- ٢٠٥.

(٧٠) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: صـ٣٢٧، الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٩٨/٤.

(٧١) ابن الأثير، الكامل: ٣٦١/٤.

(٧٢) الجراح بن عبد الله الحكمي: أشهر قادة الحرب في عصر الدولة الأموية، كان يلقب بأبي عقبة، وصف بالشجاعة، والبطولة، ولي لعمر بن عبد العزيز خراسان. انظر: ابن دريد، الاشتقاق، ط: ليدن، ١٨٥٤م: ٤٧/١، راضي عبد الله، دراسات في تاريخ خراسان في العصر الأموي (٤٠-١٣٢م)، ط: القاهرة، ١٩٨٧م: صـ٥٠- ٥١.

(٧٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٣١٣/٢، الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ١٠٥/٤، الأزدي يزيد بن محمد بن إياس (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م)، تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، ط: القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧: ٢٢/٢.

(٧٤) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: صـ٣٣١، الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ١٠٩/٤، الكوفي، الفتوح: ٢٦٠/٨- ٢٦٤.

(٧٥) الكوفي، الفتوح: ٢٦٠/٨- ٢٦٥.

(٧٦) انظر: وسام عبد العزيز، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية: صـ١١٣، ١١٤.

(٧٧) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: صـ٣٣٦، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٣٢٨/٢، ابن الأثير، الكامل: ١٣٤/٥، أديب السيد، أرمينية في التاريخ العربي، ط١، (د.م)، ١٩٧٢م: صـ٩٢.

(٧٨) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: صـ٣٣٦، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٣٢٨/٢، ابن الأثير، الكامل: ١٣٤/٥.

(٧٩) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: صـ٣٣٦، ابن الأثير، الكامل: ١٣٧/٥، ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ط: القاهرة، ١٣١٧هـ: صـ١١٩.

(٨٠) ورثان: بلد في حدود أذربيجان، قريبة من نهر الرس، ومدينة بيلقان. انظر: البغدادي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: ١٤٣٢/٣.

(٨١) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: صـ٣٣٨، الذهبي، تاريخ الإسلام: ٢٢٢/٣.

(٨٢) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢٨/٢، ابن كثير، الكامل: ١٤٥/٥.

(٨٣) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: صـ٣٣٨، ابن الأثير، الكامل: ١٤٠/٥-١٤١.

(٨٤) معركة الطين: سميت بذلك لوقوعها في جوٍّ ماطرٍ، وأرضٍ لبخةٍ ومليئة بالطين، وعلق الكثير منه على أرجل الخيل؛ مما دفع المسلمون إلى قصِّ أذناب الخيل حتى لا تعوقها في الحركة.انظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: صـ٣٣٩، ابن أعثم الكوفي، الفتوح: ٢٨٩/٨- ٢٩٠.

(٨٥) اليعقوبي، تاريخ العقوبي: ٣١٧/٢- ٣١٨، الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ١٢٩/٤، ابن الأثير، الكامل: ١٥٥/٥.

(٨٦) نهر الرس: ينبع هذا النهر من قاليقلا، ويسير شرقًا حتى يصب في بحر الخزر. انظر: ابن حوقل، صورة الأرض: صـ٢٩٦، القلقشندي، صبح الأعشى: ٤٠٠/٤.

(٨٧) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ١٢٩/٤، الكوفي، الفتوح: ٢٨٢/٨- ٢٩٦.

(٨٨) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٣٢٨/٢، الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ١٣٧/٤.

(٨٩) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ١٣٩/٤، الأزدي، تاريخ الموصل: ٣٢/٢.

(٩٠) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: صـ٣٤١.

(٩١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ١٣٩/٤، ابن الأثير، الكامل: ١٥٩/٥.

(٩٢) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: صـ٣٢٤، الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ١٣٩/٤.

(٩٣) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: صـ٣٤٢، الكوفي، الفتوح: ٢٦٧/٨- ٢٦٩.

(٩٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ١٣٩/٤، ابن الأثير، الكامل: ١٥٩/٥- ١٦٢.

(٩٥) الكوفي، الفتوح: ٢٧٠/٨- ٢٧١.

(٩٦) ابن الأثير، الكامل: ١٦٠/٥- ١٦٢.

(٩٧) برذعة: إلى الشمال من أذربيجان، وكانت قديمًا تدعى برده دار، وهي من بناء الملك الفارسي قباذ. عن ذلك انظر: الحموي، معجم البلدان: ٣٠٠/١- ٣٠٢، البغدادي، مراصد الاطلاع: ١٨٢/١.

(٩٨) الكوفي، الفتوح: ٢٧٢/٨، ابن الأثير، الكامل: ١٥٩/٥- ١٧٢.

(٩٩) برزند: مدينة آهلةٌ بالسكان بالقرب من أردبيل تُعَدُّ ثالث مدن أذربيجان من حيث الأهمية بعد أردبيل، وتبريز. انظر: المقدسي، أحسن التقاسيم: صـ٣٧٨، الحموي، معجم البلدان: ٣٠٢/٣- ٣٠٣.

(١٠٠) الكوفي، الفتوح: ٢٨٠/٨- ٢٨٤، ابن الأثير، الكامل: ١٥٩/٥- ١٦٢.

(١٠١) البيلقان: تقع إلى الشمال من أذربيجان، وهي من بناء بيلقان بن أرمني بن لنطي، وأعيد بناؤها في عهد الملك الفارس قباذ. عن ذلك انظر: الحموي، معجم البلدان: ٤١٩/١.

(١٠٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٣١٧/٢، الكوفي: ٢٧٩/٨.

(١٠٣) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: صـ٣٤٢، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٣١٧/٢.

(١٠٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٣١٧/٢، أديب السيد، أرمينية في التاريخ العربي: صـ٩٥.

(١٠٥) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: صـ٣٤٣، الكوفي، الفتوح: ٢٨٠/٨.

(١٠٦) شروان: مدينة وقلعة في جبال القوقاز على الطريق الرئيسي المؤدي إلى مدينة باب الأبواب، على بحر الخزر (قزوين)، وتقع إلى الشمال الشرقي من مدينة أردبيل، وسميت بذلك نسبة إلى أول من بناها، وهو كسرى أنوشروان. انظر: الحموي، معجم البلدان: ١٣٧/٣.

(١٠٧) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: صـ٣٤٤، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٣١٧/٢-٣١٨.

(١٠٨) ابن الأثير، الكامل: ١٧٧/٥- ١٧٩.

(١٠٩) وسام عبد العزيز، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية: صـ٢٢٤- ٢٢٥.

(١١٠) ابن الأثير، الكامل: ١٧٧/٥- ١٧٩، الذهبي، تاريخ الإسلام: ٣٤٨/٣- ٣٤٩.

(١١١) مملكة السرير: أحد القلاع الحصينة بالقرب من باب الأبواب إلى الشمال الشرقي من أردبيل، وهي الآن ضمن حدود جمهورية الداغستان، أحد جمهوريات الاتحاد الروسي. انظر: الحموي، معجم البلدان: ١٩٧/١، أمين واصف، الفهرست معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، تحقيق: أحمد زكي، ط: القاهرة، ١٩١٦م: صـ١٩.

(١١٢) قلة حمزين: أحد القلاع الحصينة الواقعة في سلسلة جبال القوقاز إلى الشمال من أذربيجان. انظر: ابن الفقيه: (أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني)، مختصر كتاب البلدان، ط: ليدن، ١٣٠٢هـ: صـ٢٩٦.

(١١٣) مملكة اللكز: مملكة واسعة ذات أقاليم، ومدن، وقرى، في سفوح جبال القوقاز، إلى الشمال الشرقي من أذربيجان. انظر: ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب: صـ٨٣، أبو الفداء: (عماد الدين إسماعيل بن نور الدين ت

٧٣٢هـ)، تقويم البلدان، تحقيق: ماك ديسلان- المطبعة السلطانية: صـ٣٨٦-٣٨٧.

(١١٤) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط الحواشي، ووضع الفهارس: خليل شحاته، ط: بيروت، ١٩٨٨م: ٣/١١٥.

(١١٥) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية: ٩/٣١٣، وسام عبد العزيز، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية: صـ٢٩٩.

(١١٦) بلاط الشهداء: في المصادر العربية أوتور بواتيه في المصادر الغربية، موقعة شهيرة في تاريخ الإسلام، والتاريخ العالمي، ووقعت سنة ١١٤هـ/ ٧٣٢م. عن تفاصيلها انظر: محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام فيْ الأندلس، ط: القاهرة، ٢٠٠١م: ١/١٠٠-١٠٩، وسام عبد العزيز، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية: صـ٢٢٦- ٢٢٨.

(١١٧) محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس: ١/١١٢، وسام عبد العزيز، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية: صـ٢٢٦- ٢٢٧.

(١١٨) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: صـ٣٤٨، الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٤/١٥٧، الأزدي، تاريخ الموصل: ٢/٣٨.

(١١٩) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: صـ٣٤٨، ابن الأثير، الكامل: ٥/١٩٨، الذهبي، تاريخ الإسلام: ٣/٣٥٠.

(١٢٠) اللان: إلى الشمال الغربي من أردبيل، وتتميز بحصاتها ومنعتها الحربية. انظر: ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب: صـ٥٢، فايز نجيب اسكندر، الفتح الإسلامي لبلاد الكرج: صـ٣٦- ٣٧.

(١٢١) سمندر: أحد أهم مدن الخزر الشمالية، وهي من بناء الملك الفارسي أنوشروان بن قباذ بن كسرى، وقديمًا كانت عاصمة الخزر، فلما دخلها سلمان بن ربيعة الباهلي انتقل الخزر عنها إلى مدينة إتل. انظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك: صـ١٢٤، الحموي، معجم البلدان: ٣/٧١.

(١٢٢) خليفة بن خياط، تاريخ بن خياط: صـ٣٤٩، ابن الأثير، الكامل: ٥/٢١٥، الذهبي، تاريخ الإسلام: ٣/٣٥٠.

(١٢٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٤/١٨١، ابن الأثير، الكامل: ٥/٢٢٨، ابن خلدون، العبر: ٣/١٦٧- ١٦٨.

(١٢٤) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: صـ٣٥١، الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٤/١٩٣.

(١٢٥) موقعة أكروينون: وقعت بين المسلمين والبيزنطيين سنة ١٢٢هـ/ ٧٣٩-٧٤٠م، بالقرب من ثيم الأناضول، ولقي فيها المسلمون بقيادة البطال الهزيمة على أيدي البيزنطيين بقيادة ليو الايسوري، وكانت هذه الهزيمة سببًا في تضاؤل هجمات العرب على وسط آسيا الصغرى. انظر: وسام عبد العزيز فرج، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية: صـ٢٣٤- ٢٣٨.

(١٢٦) عبد الله البطال: من مشاهير الأمويين، اتصف بالشجاعة، ولقد بلغ من فرط شجاعته أن قادة الروم كانوا يخشون الجيش الذي يقوده، وله وقائع وقصص كثيرة. وللمزيد انظر: ابن كثير، البداية والنهاية: ٩/٣٣٥- ٣٣٧.

(١٢٧) وللمزيد من التفاصيل انظر: محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس: ١/١٤٠- ١٤٦، العريني، الدولة البيزنطية: صـ١٨٦،وسام عبد العزيز فرج: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية: صـ٢٣٣ وما بعدها.